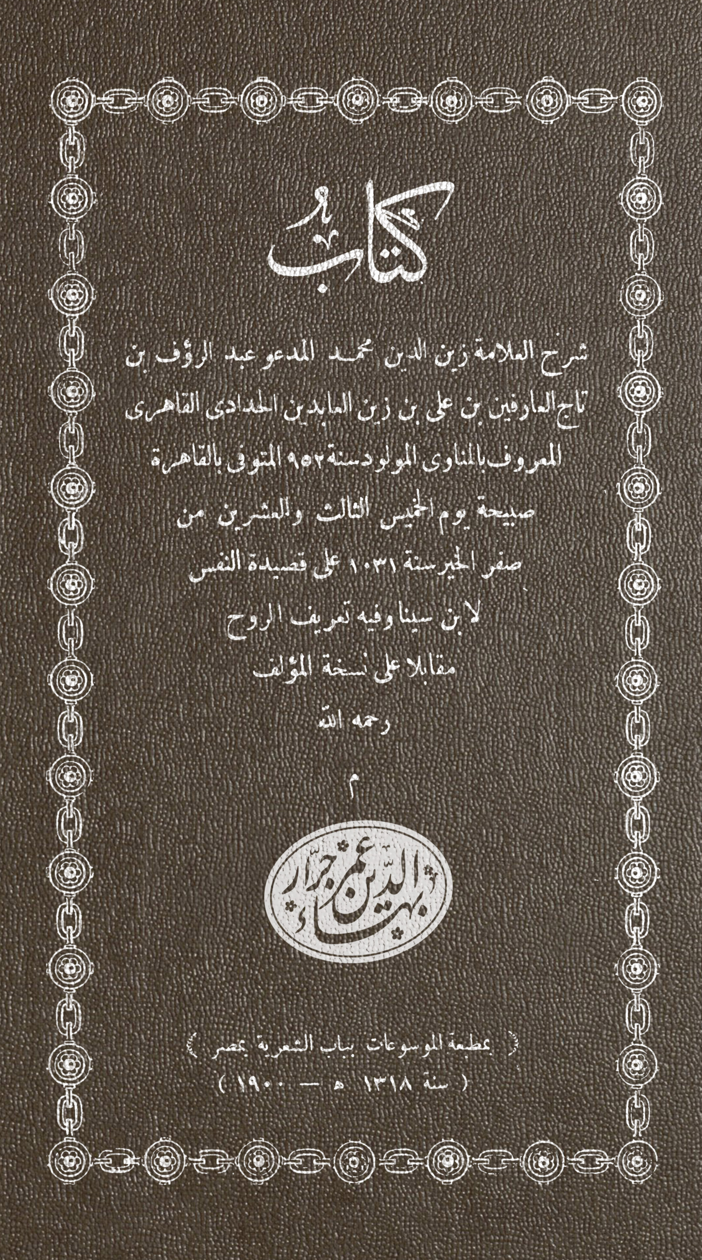


كتاب

شرح العلامة زين الدين محمد المدعو عبد الرؤف بن
تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري
المعروف بالمناوي المولود سنة ٩٥٢ المتوفى بالقاهرة
صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين من
صفر الخير سنة ١٠٣١ على قصيدة النفس
لابن سينا وفيه تعريف الروح
مقابلا على نسخة المؤلف
رحمه الله

م

(بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر)
(سنة ١٣١٨ هـ — ١٩٠٠)

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



فهرست شرح قصيدة ابن سينا

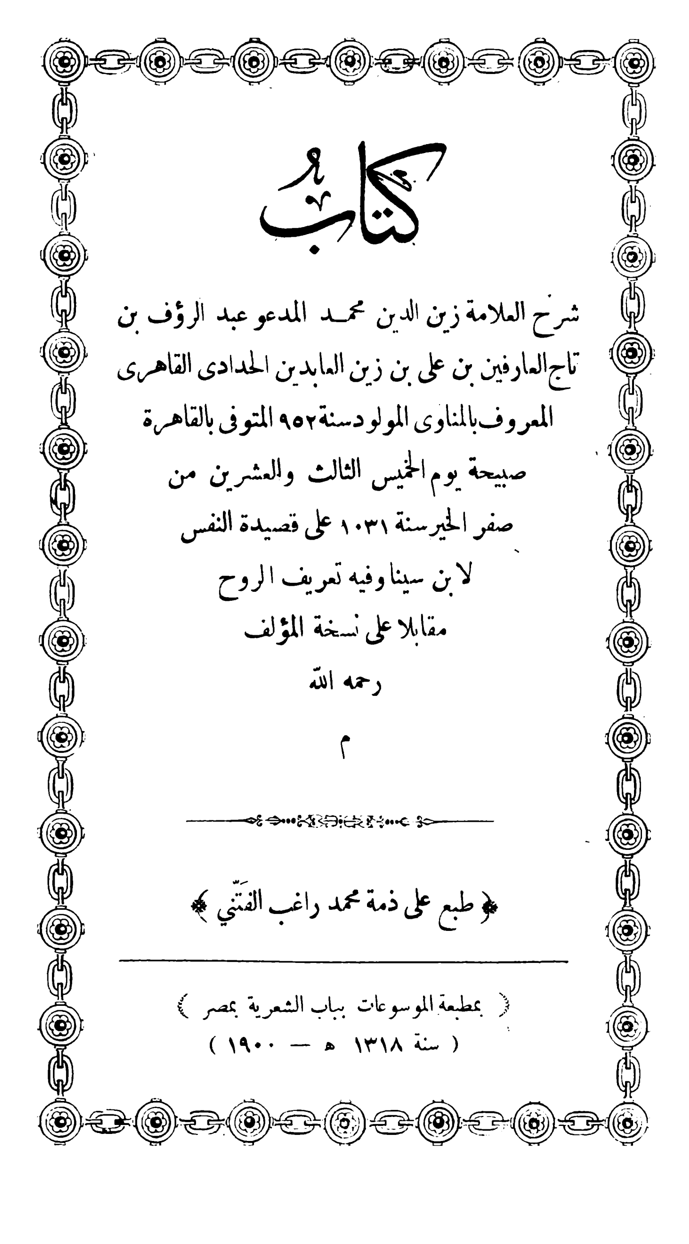
﴿ تمت ﴾

تصحيح شرح القصيدة العينية

صفحه	سطر	خطا	صواب
٨	٥	هذ	هذا
٩	١٩	رقيق	دقيق
٢٨	١	يقرّب	يقرُب
٣٧	١٦	والبرقع	والتبرقع
٣٧	١٧	البرقع	والبرقع
٣٩	٢٠	أفراد	إفراد
٤٦	٧	بالتنبيه وهو مهيا	بالتنبه وهو مهيا
		لذلك التنبيه	لذلك التنبه
٥٤	١٦	العقورى	العقور
٥٧	١٩	عهود	عهودا
٥٨	٦	(بفراقها) متعلق بمنازل	(بفراقها) الضمير لمنازل
٦٢	٨	فليس	ليس
٧١	١	بالحُس كقوله	بالحِس وكقوله
٧٣	١٥	هواء	هواءً
٨١	١٧	الانوصول	لان وصول
٨١	١٩	أذاعرفت	إذا عرفت
٨١	٢١	صلا	اصلا
٨٣	١١	لدار	الدار
٨٥	١٠	من عالم	عالم
٩٣	٢١	منهما	منها

صفحه	سطر	خطا	صواب
٩٣	٢١	ناوس	ناووس
١٠١	١٣	بالنفيس منه ومن	بالنفيس ومن
١١٦	١٣	شر كثير كالنار	شرا كثيرا كالنار

(تنبيه) فى السطر ٢ من الصفحة ٢٠٨ (وهى عاقبة حميدة للاعطاء)
ومحلها فى السطر ١ بعد خلة الفقراء



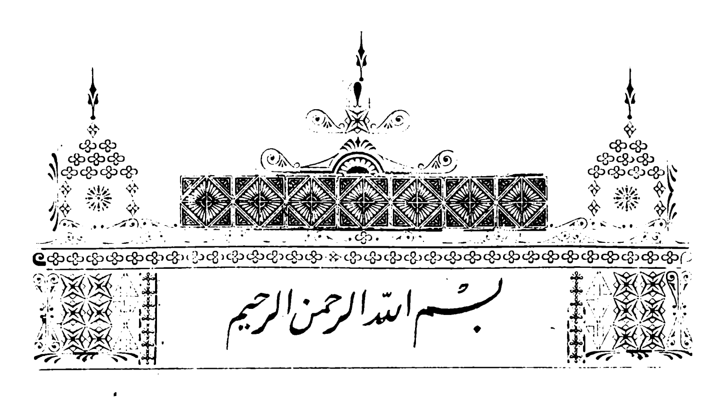
كتاب

شرح العلامة زين الدين محمد المدعو عبد الرؤف بن
تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادى القاهرى
المعروف بالمناوى المولود سنة ٩٥٢ المتوفى بالقاهرة
صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين من
صفر الخير سنة ١٠٣١ على قصيدة النفس
لابن سينا وفيه تعريف الروح
مقابلا على نسخة المؤلف
رحمه الله

م

﴿ طبع على ذمة محمد راغب القبّاني ﴾

(بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر)
(سنة ١٣١٨ هـ — ١٩٠٠)



الحمد لله الذى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده * والصلاة والسلام على خير أصفيائه وصفوة عبّاده * وعلى اخوانه وخلفائه وأعوانه وأهل وداده ﴿ وبعد ﴾ فهذا تعليق نفيس على القصيدة النفسية العينيه * المنسوبة الى حكيم الملة الاسلاميه * عظيم العصابة الفلسفيه * المنعوت بين أهل التأصيل والتأسيس * مولانا الشيخ أبى على بن سينا الرئيس * وقد علق عليه جمع أجلة منهم العلامة السمرقندى فأتى بما أنبأ عن سمو محله * وأخجل من حاول شرح الكتاب بعده وان كان من أهله * وهو مرادى بالشارح لكنه فى ذلك الشرح المستطاب * ربما أطنب فى محل الايجاز وأوجز فى محل الاطناب * وتبع الفلاسفة على مواضع ينبو عنها نظم الكتاب * ساكتا عليها من غير تنبيه على ما فيها من الاوهام * فصارت مزلقة للاقدام * مزلة للافهام * فسلكت فى هذا الشرح جادة الاجاده * وجردته عن الوهم والحشو والزياده * ومن المبدئ سبحانه * استمد التوفيق والاعانه *

ترجمة ابن سينا

ولا بدّ من تقديم مقدمة نجعل عنوانها ترجمة الناظم فنقول هو أبو على الحسين بن على وقيل ابن عبد الله بن الحسين بن على بن سينا أصل والده من متصوفة بلخ ثم سكن بخارى فولد له الناظم فى بعض قراها فحفظ القرآن وهو ابن عشر ثم اشتغل بالطبّ والمنطق فمهر فيهما وأقرأهما وهو ابن ست عشرة سنة وقصد علاج المرضى واشتهر ذكره وصيته واتصل بخدمة شمس الدولة ثم استوزره ثم عزل وامتحن وحبس ثم أطلق وولى ومع ذلك فهو مكب على ارشاد الطلبة ثم اشتغل بالتصنيف فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة من تصانيفه وهذا قدرها

مؤلفات

كتاب المبدا والمعاد والاوساط الكلية والاشارات والحاصل والمحصول والمجموع ذكر فيه سائر العلوم سوى الرياضى ولسان العرب فى اللغة عشرة مجلدات قالوا لم يؤلف مثله ومات عنه مسودة والقانون والانصاف ومختصر المحيط والنجاة والبر والاثم والشفاءوالهداية والمختصر الاوسط فى المنطق وكتاب القولنج والادوية القلبية وبعض الحكمة المشرقية وكتاب القضا والقدر والآلة الرصدية وقصائد فى الحكمة وكتاب الاجرام السماوية ومختصر فى النبض بالعجمية ومختصر اقليدس وأقسام الحكمة ورسائل اخوانية وسلطانية وغير ذلك وكان يدرس ليلا لاشتغاله نهاراً بامر الدولة

قال تلميذه الجوزجانى وكان سبب تصنيفه لسان العرب انه كان بحضرة الامير وقد امتلأ المجلس من أكابر العلماء فتكلم الشيخ فناظرهم وقطعهم الى

أن حانت مسئلة فى اللغة فتكلم فيها فقال له أبو منصور اللغوى أنت حكيم واللغة ما نرضى كلامك فيها فوجم وعكف بعد هذا على كتب اللغة مدة الى أن صنف ثلاث رسائل وضمنها من الالفاظ الحوشية مالا عهد به وأرسلها مع رسول من الامير الى الشيخ أبى منصور يذكر انه وجدها فى الفلاة ملقاة لما كان فى الصيد فنظر فيها فوقف فى أشياء منها وذلك بحضرة الشيخ فكان كلما وقف أبو منصور فى كلمة قال الشيخ هى مذكورة فى باب كذا من كتاب كذا فلما فَطِن لذلك اعتذر اليه

وذكره التاج الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل لما سرد أسماء فلاسفة الاسلام فقال وعلامة القوم أبو على بن سينا كان طريقه أدق ونظره فى الحقائق أغوص وكل الصيد فى جوف الفرا

وقال ابن أبى الدم فى الملل والنحل لم يُرَ أحد من هؤلآء يعنى فلاسفة الاسلام كابن نصر الفارابى وأبى على بن سينا وأبو علي أقوم الرجلين وأعلمهما الى ان قال وقد اتفق العلمآء على أن ابن سينا كان يقول بقدم العالم ونفى المعاد الجسمانى ولا ينكر المعاد النفسانى ونقل عنه أنه قال أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات بعلم جزئى بل يعلمها بعلم كلى فقطع علمآء زمانه فمن بعدهم من الائمة ممن يعتبر قوله أصولا وفروعاً بكفره وبكفر الفارابى لاعتقادهما هذه المسائل التى هي خلاف اعتقاد المسلمين انتهى

وقد أطلق الغزالى القول بتكفير ابن سينا وقال انه يقول بقدم العالم وعدم علم الله بالجزئيات وعدم المعاد الجسمانى ونازع بعض المتعصبين له فى نسبة ذلك اليه والنزاع فيه مكابرة والغزالى لم ينفرد بنسبة ذلك اليه بل قال الامام الرازي فى المحصل بانه وأبا نصر قائلان كارسطو بانّ الاجسام قديمة

الذات والصفات قال وعندهم أن السموات قديمة بذواتها وصفاتها المعينة انتهى وقد سمعت ما ذكره ابن أبى الدم عن العلماء فالنزاع فيه من قبيل الهذيان لكن قد وقفت له على أبيات قالها قبيل موته تشعر بالتوبة منها

نعوذ بك اللهم من شر فتنة * تطوق من حلت به عيشة ضنكا
رجعنا اليك الآن فاقبل رجوعنا * وقلب قلوباً طال اعراضها عنكا
فان أنت لم تبرئ سقام نفوسنا * فتشفى عماياها اذن فلمن يشكى

والله الهادى * ثم قال تلميذه الجوزجانى وكان قوىّ القوى وقوة المجامعة من قواه الشهوانية أقوى وأغلب فكان يجامع كثيراً فأثر فى مزاجه فاخذه قولنج فحقن نفسه فى يوم واحد ثمان مرات فتقرحت أمعاؤه ثم اعتراه الصداع فكان يدبر نفسه ثم صار يقوم ويقعد ويبرأ وينتكس ثم علم أن قوته قد سقطت وأنها لا تفي بدفع المرض فاهمل مداواة نفسه وقال المدبر الذى كان يدبر بدنى قد عجز عن التدبير والآن لا تنفع المعالجة ثم تاب واغتسل وتصدق ورد كثيراً من المظالم ولازم التلاوة وبقى على ذلك أياماً ثم مات بهمدان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة عن ثلاث وخمسين سنة انتهى .

﴿ المقدمة ﴾

اعلم أن الحكم على الشىء يتأخر بالطبع عن تصوره فلا بد من بيان ماهية النفس قبل الشروع فى المقصود فنقول اختلف الاولون والآخرون على مرّ الأيام والأعوام فى النفس الناطقة التى يشير اليها كل أحد بقوله انا على زهاء مائة قول وهم فريقان فريق ينكر تجردها وفريق يقول به والمشهور من مذاهب المنكرين لتجردها عشرة (الاول) لابن الراوندي انها جوهر لظهور

قيامها بذاتها وغير منقسم لتعينها بالبسائط وليست مجردة لامتناع وجود المجردات الممكنة فتكون جوهراً فرداً فى القلب لانه الذى يثبت فيه العلم (الثانى) انها قوة في الدماغ وفعل فى القلب (الثالث) لجمع من الاطباء انها ثلاث قوى *احداها جسم لطيف كالبخار فى القوام حار معدنه القلب وهذا ينشأ من القلب ثم ينبث فى جميع البدن ويحمل قوة الحياة وهذه هى الروح الحيوانية عندهم * الثانية جسم كالبخار لطيف القوام حار معدنه الكبد ومنها ينشأ ثم ينبث فى جميع البدن ويحمل القوى الطبيعية التى أفعالها سبعة الجذب والمسك والهضم والدفع والتغذية والتنمية والتوليد وهذه هى الروح الطبيعية * الثالثة جسم لطيف بخارى حار معدنه الدماغ ومنه ينبث فى سائر البدن وفعله الحس والحركة وهذه هى الروح النفسانية وهذه الأرواح يشترك فيها جميع الحيوان ولم يثبتوا للانسان روحا لان غرضهم بيان مايلحقه من الصحة والمرض وان كان للانسان روح آخر فليس مداوته من جنس طب الابدان (الرابع) انها الهيكل المخصوص وهو الروح مع الأعضاء (الخامس) انها الاخلاط الأربعة المعتدلة كما وكيفا (السادس) انها اعتدال المزاج النوعى (السابع) انها الدم المعتدل لأن بكثرته واعتداله تقوى الحياة وبالعكس تضعف (الثامن) انها الهوآء اذ بانقطاعه طرفة عين تنقطع الحياة فالبدن بمنزلة الزق المنفوخ فيه (التاسع) لعبد الملك بن حبيب انها جسم لطيف على صورة الانسان له وجه ويدان ورجلان من داخل البدن يقابل كل عضو منه عضواً من البدن وهذه الأقاويل * لم يقم عليها كما في المواقف دليل * وما ذكروه لايصلح للتعويل عليه * فلا يلتفت اليه (العاشر) انها جسم لطيف نورانى علوى سار في البدن سريان مآء الورد فى الورد والنار فى الفحم والدهن فى اللوز لا يتبدل

ولا يتحلل حتى اذا قطع عضو من البدن انقبض مافيه الى جميع الاعضآء لا يريد الا الطاعة ولا يختار الا العبادة لا يمنعه من الدخول فى المضائق فقد المسام * ولا يدفعه عن الوصول الى الحقائق بعد المقام * فهو فى الممكنات أشرف الأقسام * وبه يليق ان يقال هو جسم لا كهذه الأجسام * فانه لطيف لا كالهوآء الضعيف * قوي لا كالحجر الكثيف * والذى عندنا من الأجسام ان كان ضعيفاً كان لطيفاً * وان كان قوياً كان كثيفاً * والروح فى زمان واحد يوجد أوله في المغرب وآخره فى المشرق حتي يظن به انه فى آن واحد كان في مكانين وهذا هو المختار عند جمهور المتكلمين قالوا وهذا طريق سالم لأنه مستنبط من الكتاب مستخرج من السنة * والجسم هو الذى يتلون بالوان ويتشكل باشكال ويجوز كالجسم الواحد أن يرى على ألوان مختلفة فان الزجاج أبيض اذا كان مافيه أبيض وأحمر اذا كان مافيه أحمر ويجوز أن يتشكل باشكال مختلفة فان البخار يمتد وينتشر حتى يملأ الجو الواسع ويتجمع حتى يسعه مفحص قطاة وما لا يكون جسمانياً لا يمكن ان يرى فى لون ولا شكل وقال تعالى نزل به الروح الأمين والنزول من أوصاف الجسم انتهي * وقد قرر بعضهم هذا المذهب تقريراً حسناً فقال اعلم ان الشخص الأنسانى بظاهره الكثيف جسم ظلماني زائل نام ذابل وبباطنه جسم نورانى سار فى هذا الهيكل المحسوس سريان المآء فى الورد والنار فى الفحم باق غير قابل للزوال كامل حامل لصفات الكمال من العقل والفهم قالوا ولا يجوز ان يكون الانسان عبارة عن هذا الهيكل المحسوس كما زعمه قوم لان اجزآءه أبداً فى نمو وذبول أى زيادة ونقصان والانسان من حيث هو باق من أول عمره الى آخره والفانى غير الباقى فالمشار اليه بأنا مغاير لهذا الهيكل

واختلف فيه ماهو وأسدّ الأقوال انها اجزآء جسمانية سارية فى هـذا الهيكل سريان المآء فى الورد والنار فى الفحم والمحققون على ان الاجسام الباقيـة فى طول العمر أجسام مخالفة بالهيئة والحقيقة للجسم الذى تألف هـذا الهيكل منه وتلك الاجسام حية لذاتها مدركة نورانية فاذا خالطت البدن سرت فى هذاالهيكل وصار مستنيراً بنورها متحرّكا بحركتها وهـذا الهيكل أبداً فى ذوبان وتحلل وتبدل وتلك الاجزاء أبدا بحالها لايعرض لها تحلل ولا تبـدل لمخالفتها بالحقيقة والماهية هذا الجسم القالبي فاذا فسدهذا القالب انفصلت تلك الاجسام النورانية والتحقت بعالم السموات والقدس ان كانت من السعدآء أو الجحيم والآفات ان كانت من الاشقيآء

وفي التذكرة اذا تأملت الاحاديث وجدت النفس[1] والروح[2] واحداوهي جسم لطيف مشتبك بالجسم المحسوس يجذب ويخرج ويلف فى أكفانه ويعرج به الى السماء لايموت ولا يفنى له أول ولا آخر له بعينين ويدين ذي ريح طيب وخبيث وهي صفة الاجسام لا الاعراض ومن زعم أن الروح يموت ويفنى فهو ملحد وكذا القائل بالتناسخ وانها اذا خرجت ركبت فى آخر كحمار أو كلب اه

قال الجمهور وما تقرر من أنها جسم هو الحق لوجوه (الاول) انا نحكم بالكلي على الجزئى فيلزم أن مدركهما ومدرك الجزئى مناهو الجسم ليس الا كما فى جميع الحيوانات (الثانى) أن كل واحد يقطع بان المشار اليه بأنا حاضر هناك وقائم وقاعد وماذاك الا الجسم (الثالث) لو كانت مجردة لكانت نسبتها الى الابدان على السوآء فجاز ان ينتقل فلا يكون زيد الآن هو الذى كان والكل كما فى المقاصد ضعيف وظواهر النصوص لا تفيد القطع وأما الاستدلال بانه لادليل على تجردها فيجب نفيه فمع ضعفه معارض بانه لادليل على تحيزها فيجب نفيه

ولهذا اختار حجة الاسلام الغزالي والامام الرازى والراغب والشهاب السهروردي المقتول وكثير من المسلمين ما عليه كافة الحكماء وأعاظم الصوفية المكاشفين ذوي التجليات القدسية من أنه جوهر فرد قائم بنفسه متعلق أولا بروح قلبيّ يسرى فى البدن فيفيض على الاعضاء قواها ومع ذلك فهو غير متحيز ولا قابل لاشارة حسية فهو من الحقائق الامكانية لا من الجواهر المكانية وانما تعلقه بالبدن تعلق التدبير والتصرف من غير أن يكون داخلا فيه بالجزئية أو الحلول لكن اشتغاله به كعشق طبيعيّ يرهقه الى تدبيره ما دام قابلا للتدبير وليس من ضرورة عشقه له وتأثيره فيه أن يكون حالا فيه أو متصلا به كالولد اذا سقط فى ماء فان الام بالطبع قد تلقى نفسها فى الماء اشفاقاً عليه مع أن نفسها غير حالة فى بدن الابن وحيث جاز على الام أن تعشق الولد لانه جزء من بدنها جاز على النفس أن تعشق أصل البدن وان لم تكن فيه* نعم انما تستعمل أعضاء البدن بواسطة الروح الذي فى القلب وانما تقبل الروح الأثر من تدبير النفس ما دام على مزاج معتدل فاذا فسد مزاجه لم يقبل الأثر فيبطل تدبير النفس ويفسد مزاجه بتطرق الاختلال الى بعض الأعضاء الرئيسة وسائر مالا بد للقلب منه فيكون اختلال بعض الاعضاء سبباً لاختلال مزاج الروح وفساد الروح سبباً لبطلان استعداده لقبول تدبير النفس وبطلان استعداده سبباً لانقطاع تدبير النفس وتأثيره وهو المعنى بالموت * والقول فى الكشف عن حقيقة النفس وانها جوهر قائم بنفسه ليس بعرض ولا جسم ولا حال فى جسم طويل وبرهانه دقيق جداً لأجله كثرت الاغاليط فيه* وأما ماظنه قوم تبعاً لافلاطون من انها كالشعاع الذى ينبثّ الى الأجسام من الشمس وان النفس الكلية مع الأبدان كالشمس مع

الأرض ينتشر شعاعها على المواضع فيأخذ كل موضع نصيبه على قدره فخطأ كما قاله حجة الاسلام قال لانهم أخطاؤا فى ادراك المثال فليس الشعاع شيئا ينبث عن الشمس لانه لو كان عرضاً كان لا ينتقل ولو كان جسما كان لا يداخل الاجسام ولو أشرق البيت من روزنة فسدّت دفعة واحدة كان ينبغى ان تبقى الاجسام المضيئة فى البيت وادلة فساد ذلك كثيرة بل حقيقته ان النور عرض يحدث فى ظاهر الجسم الكثيف عن مقابلة الجسم له اذا كان بينهما جسم شفاف وانما يحدث ذلك من السبب الذى يحدث منه نور الشمس فالذى يخلق النور فى الشمس يخلق الضيآء فى سطح الاجسام المقابلة للشمس والضوء عرض فى الجسم حال فيه ولا يحل فى الهواء كما توهمه قوم بدليل ان القاعد فى غار جبل طويل لا يرى بالليل خارج الغار فاذا طلعت الشمس رآه وان كان الهواء موجوداً خارج الغار فاذا تحقق هذا فالنفس لا كذلك لانها ليست اعراضاً تحل فى الاجسام ولا هى اجسام لطيفة تثبت مماسة للأبدان ولا مداخلة لها* ومما يتمسك به فى ذلك قوله سبحانه وتعالى قل الروح من أمر ربى حيث جعل الروح من عالم الأمر وقال ألا له الخلق والامر فجعل الخلق غيرُ الأمر (فالخلق والتقدير فى الاشباح الظاهرة (والأمر والتدبير فى الأرواح الطاهرة (وعالم الخلق) عبارة عن كل ما يقع عليه مساحة وتقدير وهو الأجسام وعوارضها (وعالم الأمر) عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحسّ والجهة والمكان والتحيز وهو مالا يدخل تحت المساحة والتقدير لانتفآء الكمية عنه * وعلى هذا نحد الروح كما فى الالواح العمادية انه جوهر غير جسميّ من شأنه ان يدرك المعقولات ويتصرف فى الأجسام وهو نور من أنوار الله القائمة لا فى أين فسبحان فاعل العجائب

مبدع الحقائق مظهر الآيات اله العالم واهب الحياة له الأمر واليه الاياب تبارك الله أحسن الخالقين

﴿ تنبيهات ﴾

﴿التنبيه الأول﴾ اعلم ان تنزيه الأرواح عن الجهات لا يلحق بالله شيئاً من الصمات بل يفيد اعتقاد عظمة الباري تقدس فان المخلوق كلما كان أعظم كان خالقه أجل وأكرم فاذا قلنا ان الروح أعظم من الجسم وأشرف ثم نقول هو مع استغنائه عن الحيز والمكان محتاج الى الله وله وصمة الامكان بان شرف الرب أكثر مما اذا قلنا لا يحتاج الى الله الا ما يحتاج الى المكان * ومن هذا البيان انكشف لك ان قول بعض الجامدين على الظواهر كيف تصف نفسك يا انسان بما هو صفة للاله على الخصوص فكأنك اضفت الالهية الى نفسك وبذلك كفرت أو كذبت من قبيل الهذيان * وكما انه ليس فى قولنا الانسان حى ناطق سميع عالم الخ تشبيه لأنه ليس فيه أخص وصف له فكذا البراءة عن الجهة والمكان ليست أخص وصف له سبحانه بل أخص وصفه انه قيوم أي قائم بذاته وكل ماسواه قائم به وموجود به لا بذاته ليس للأشياء من ذواتها الا العدم وانما لها الوجود منه على منهاج العارية

ثم انهم ربما أثبتوا أرواحاً سماوية وأرواحاً أرضية * وقالوا السمائية هم الملائكة المقربون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون * والأرضية الملائكة المرسلون الذين يفعلون ما يؤمرون * وقالوا بيد السماوية الخلق والايجاد * وبيد الأرضية تحريك الأجساد ومن أثبت الأرواح الأرضية اتفق على انها كلها اخيار ليس فيها شرير بيد ان بعضهم قال ان فى الأرواح الأرضية أرواحاً شريرة وهي الشياطين وذلك في حيز السقوط الا ان يريد

بالروح النفس

واعلم ان الروح قد يطلقونه على كل جوهر ليس بجسم ولا جسمانى فيشمل العقول والنفوس لكن يختص الروح بما لا حاجة له الى آلة جسمانية فيكون الروح أعلى من النفس وهو الذى يسميه الحكماء العقل (وأما النفس) فعندهم أجمعين سمائية وأرضية وكل منهما جسمانية ومجردة * فالجسمانية السمائية كالملائكة * والأرضية كالصور القائمة بمواد الاجسام وهى النفس النباتية والحيوانية (وأما التى ليست بجسمانية * فالسمائية منها نفوس بعدد الافلاك لا بل بعدد النجوم * والارضية منها هي نفس الانسان التى تسمى النفس الناطقة ولم يثبتوا نفساً أرضية ليست بجسم ولا قائم بجسم الا هذه * غير ان جمعاً من المتأخرين قالوا ان (الشياطين) نفوس أرضية مجردة ثم قيل هم جماعة من الانس بلغوا في الشر الغاية وبالغوا فى الضر والنكاية وقيل هم نوع آخر فيكونون قائلين بنفوس متنوعة أرضية مجردة

والفرق بين النفس والروح الذى هو العقل ان (الروح) يفعل فعله بغير توقف على آلة جسمانية (والنفس) لا تعمل الا بالآلات ومن ثم قالوا النفوس لا تخلق الاجسام لان عملها بآلة جسمانية فكيف يكون لها عمل فيما لا عمل لها الا به

فالموجودات على مذهبهم على خمس مراتب (الاعراض) وهى أخسها وأدناها ولها وجود غير قائم بنفسه (ثم الأجسام) ولها وجود وقيام بالنفس فلا تفتقر فى وجودها الى محل توجد فيه بخلاف البياض والسواد مثلا (ثم النفس) ولها وجود وقيام بنفسها واستغناء عن المكان والجسم لا يستغني عنه فالنفس أشرف من الجسم لاستغنائها عن المكان والشرف

بالاستغناء فكلما كان الشيء أغنى عن الشيء كان أشرف منه (ثم الروح) وهو العقل وله وجود وقيام بالنفس واستغناء عن المكان وهو يعمل عمله من غير حاجة الى آلة والنفس كل كمالاتها لاتحصل الا بآلاتها وهى أجسام فالنفس فى فعلها تحتاج الى جسم وان كانت فى وجودها لاتحتاجه والروح مستغن فى عمله عن الجسم فهو أشرف (ثم الله) تعالى موجود لايفتقر الى محل ولا يحتاج الى مكان وهو مستغن فى فعله عن جميع الآلات وفى وجوده عن الموجد والروح مفتقر الى موجد يوجده فالله سبحانه هو الغني المطلق المستغني عن كل شيء المفتقر اليه كل شيء فسبحان من اعترف المحق والمبطل بكماله وعرف المسيء والمحسن وصف جلاله

﴿ التنبيه الثاني ﴾ كأنى بك تقول الافاضة فى بحث ماهية الروح بدعة فى الدين ليس من شأن العلماء المحققين والائمة المحقين كيف ولم يبينه الله لرسوله وقال قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا أى أنتم خفى عليكم الا ظهر من الروح وهو أعضاؤكم وأجزاؤكم وجهلتم الأهم من هذه المسئلة وهو الرسالة فما بالكم تسألون عن مسئلة لايتوقف عليها صحة الاسلام فالاشتغال بالتفتيش عما لم يبينه الله لرسوله غلو فى الدين وعناد والتوغل فيما لم يرد به قرآن ولم يقم عليه برهان علو فى الأرض وفساد بل نقل بعض الائمة الأعلام ان هذا لم يبينه الرسل الكرام قبل خاتم الأنبياء عليهم السلام

﴿ فأقول ﴾ قد أجاب حجة الاسلام بأن غير هؤلاء كلامهم بين ان يقبل ويرد ويصدّق ويكذّب وكلام الرسل ليس كذلك فان المسألة فى نهاية الغموض وأكثر الأذهان ضعيفة وربما لم تفهم فيعترض من قولهم على

قولهم فلم يوردوا فيها الا اشارات ورموزاً * وفى قوله سبحانه قل الروح من أمر ربى جواب مقنع كاف لمن علم الامر على ما هو عليه ولم يكشف عنها القناع ليعلمها كل سامع لأن السائل عنها اليهود ليجادلوه لعلمهم بأن المسئلة معترك النظار وفيها اقاويل مختلفة حتى اذا أجاب بجواب قالوا ليس الجواب بكذا ويأتون باقوال من تقدم ولا يتم الجدال الا فى محل الخلاف فاتى بالجواب مرموزاً ليعلمه العلماء بالله واقتضت المصلحة العامة منع الكلام فيه لغيرهم لأن الافهام لا تحتمله خصوصاً على طريقة الحكماء اذ من غلب على طبعه الجمود لا يقبل القول فى صفة البارى ولا يصدق به فكيف يصدق به فى حق الروح الانسانى ولهذا أنكر الكرامية ومن العامية تغلب على طبعه تجرد الا له عن الجسمية والأعراض وجعلوه تعالى جسما اذ لم يعقلوا موجوداً الا جسما مشاراً اليه ومن رقي عن العامية قليلا نفى الجسمية وما أطاق أن ينفى عوارضها فاثبت لله الجهة تعالى الله عما يقول الظاون

﴿ تتمة ﴾ هذا الجسم أعنى الجسد يجرى من النفس مجرى الثوب من البدن فأن الجسد يحرك الثوب بواسطة أعضائه الظاهرة والنفس تحرك البدن بواسطة قوى خفية مناسبة وقواها تظهر فى مواضع من البدن تبلغ عشراً

﴿ التنبيه الثالث ﴾ علم مما مر ويأتى أن الانسان يطلق على معنيين أحدهما محسوس مشاهد يراه البصر ويحسه اللامس * عالم بالشهادة مؤمن بالغيب * الثانى النفس الناطقة والانسان الاول له لوازم وخصائص يتميز بهما عن الثانى وكذا الثانى بل أكثر أوصافه تباين الاول فان الاول ميت بطبعه والثانى حى بالذات بل هو عين الحياة والاول محسوس بالحواس والثانى لا

يدرك الا بالعقل والانسان عند التحقيق هو الثانى وتسمية الاول بالانسان مجاز كما يسمى ضوء الشمس شمسا فكما أن ضوأها قائم بالشمس تابع لها يستدل به عليها فكذا الانسان الظاهر ظل وشبح للانسان الحقيق وتفاصيل كون الاعضاء وقواها ظلال لقوى الانسان الحقيق مذكور في محله وكما أطلق اسم الشمس التى هى الذات على الضوء التابع لها أطلق اسم الانسان الحقيق على المحسوس لانه مظهر أفعاله ومحل تصرفه ﴿ والانسان الحقيق ﴾ الدراك العالم اذا خلا بنفسه وتجرد عن الالتفات الى عالم الشهادة من المحسوسات والمتخيلات وخلع بدنه بعزله عن ادراكه رأى نفسه عالماً معنويا حيًّا عالمًا بذاته لايحتاج في ادراكها الى غيرها وهنا يتيقن بلا ريب ويتحقق بلا مراء أن ذاته من عالم الامر المنزه عن ادراك الحواس ولو دام مدة على هذا التجرد لانكشف عليه باب الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت وأشرقت عليه أنوار الملئكة الحافين حول العرش ورأى عرش ربه بارزاً كما أخبر به بعض الصحابة وصدقه المصطفى ﴿ والانسان الحقيق ﴾ هو الذي سماه الله بالنفس فى قوله ونفس وما سواها * وهو المراد بقول المصطفى والذى نفس محمد بيده * وهو الانسان المشار اليه فى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم * فاشار بأحسن تقويم الى الفطرة المقرة بالربوبية حيث قال ألست بربكم قالوا بلى وتلك غريزة النفس الانسانية المهيأة المستعدة لادراك حقائق الاشياء فى عالم الملك والملكوت المشار اليها بحديث كل مولود يولد على الفطرة * وأشار بأسفل سافلين الى المزاج الانسانى فانه أبعد المكونات عن الجسم المطلق ﴿ والانسان الحقيق ﴾ له نظران * أحدهما الى عالم الملكوت وبه يأخذ العلوم والمعارف من الملإ الأعلى ويكلم ويحدّث ويلهم ويوحى اليه عن الذوات الطاهرة الملكوتية وهذه القوة

تسمى بصيرة وللانسان ارتقاء فى مراتب البصيرة على مدارج المعارف الى الحضرة الأحدية * الثانى الى العالم الجسمانى وبه يتصرف فى البدن ويتفكر فى هذا العالم المحسوس ويشاهد المحسوسات بالحواس الخمس

ثم المدرك للمعقولات وجميع المحسوسات شئ واحد وذلك ان الانسان لا شك انه الرائى المبصر السامع الذائق اللامس المتخيل المتوهم العاقل ومعرفة وحدانية المدرك بهذه الادراكات بديهية وانما أعرض عن التصديق بهاقوم لم يفهموا كلام أرباب النظر على وجهه حيث قالوا المدرك للمعقولات النفس وأما المدرك للمحسوس فالقوى البدنية فظنوا انهم عزلوا النفس عن ادراك الجزئيات وقصروا ادراكها على الكليات حتى شنع بعض سلاطين الحكمة على أساطين أهل النظر ونسبهم الى ضروريات انكار العقل والخطا فى الفهم لا فى المفهوم (وانما القصور من اعوجاج افهامهم وذلك لان مرادهم بما قررود ان النفس انما تدرك الكليات بذواتها وتدرك الجزئيات المحسوسة بواسطة آلاتها التى هى الحواس الجسمانية وهذا كلام حق لا مراء فيه

﴿ التنبيه الرابع ﴾ قال العارف التلمساني اعلم ان فى قوة النفس الاتصاف بجميع الاسماء فالحسنى للمطمئنة وضدها للأمارة وهى واحدة قابلة لما تقابل به مما هو فى قوتها من الضدين فتكون بالفعل واحدة فى احدى الصفتين ولما كانت هي غايةَ الكون وسبباً لظهوره كانت الأسماء غير الحسنى من مكملاتها أعنى اذا رفضتها مع القدرة عليها تنوع الكون لاجلها من مبدئه الى منتهاه وكان لكل مرتبة منه اسم من أسمائها من كل شيء وضده فان تفطنت رأيت للمطمئنة بعد هذا شرفا يخصها من بارئها تنقطع عنه العبارات وتقصر عنه الامثال والاشارات وهذا حالها وهى مبدَعة فما ظنك بمن

أعطاها ذلك كله غنياً عنها هاديا لها منزهها عن كل ماملكها مرغبا لها فيما عنده مما لا تعلمه نفس ولا يبيد * لهم ما يشاؤن عند ربهم ولدينا مزيد *

﴿ التنبيه الخامس ﴾ قال التلمسانى الشيخ عفيف الدين سليمان بن علىّ ابن عبد الله الاديب الصوفى المتوفى سنة ٦٩٠ فى شرح المواقف للشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النغزى الصوفى المتوفى سنة ٣٥٤ النفس لاتتجزأ بذاتها وانما تتجزأ بالعرض وبحسب موضوعاتها وكلما لايتجزأ اذا اتصل بما يتجزأ صار متجزئاً بالعرض ولهذا قيل لاشئ يتجزأ بالذات سوى الكمّ المتصل وما عداه يتجزأ بسببه لاتصاله به كاللون والحلاوة والحرارة وجميع الكيفيات فاذا كان اللون كذلك فالنفس أولى فيقال ان جزء النفس المفكر غير جزئها الغضبي والشهوانى ونعنى بجزئها هنا الجزء من الجسم الذى يبتدئ منه ظهور فعلها * فاذا قلنا النفس لا تتجزأ قلنا ذلك بقول ذاتى مرسل * واذا قلنا تقبل التجزئة فبقول عرضى مضاف الى الجسم ونحن نرى قوة النفس غير متجزئة والبدن كله حساس بها وهي لا تتجزأ لكون كل جزء منه هى فيه بكمالها

وكذا النفس فى جميع البدن وهي فى كل عضو منه تامة كاملة بحسب ذلك العضو وليست متجزئة بتجزء الاعضاء وانظر الى جميع الحواس كيف تفعل كل واحدة منها فعلها ولا تتعاوق ولا تتزاحم بل كلها تؤدى الى قوة واحدة باطنة هي بمنزلة المركز والحواس تؤدى اليه بمنزلة الخطوط الآتية من المحيط الى نقطة المركز من غير أن تزدحم بل تتحد كما تتحد اطراف الخطوط عند المركز وتتكثر عند المحيط

وليست النفس في البدن كالماء في الاناء اذ يخلو منه جسم الاناء ولا بمنزلة الحلاوة فى العسل لان ذلك عرض يقوم بالموضوع مرؤس والنفس

رئيسة البدن ويقوم بها الموضوع ولهذا قيل هي في البدن بمعنى الجزء المقوم وبها يصير البدن هو ما هوَ ولذلك لا توصف بالانقسام ولا بالتجزء ولا بالمكان ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بشيء من صفات الاجسام الا ان كان الوصف لها بالعرض * وليست في البدن كالجزء في الكل والا لكانت يداً أو رجلا ولا كالكل في الجزء فانه أشنع * ولا بمنزلة الصورة الهيولانية والا لكانت مقصورة عليه ولم يمكنها أن تنبسط فتعلم الاشياء الخارجة وتشعر بالعالم الروحانى

فها انت ترى العلم كيف قد اراكها بالقلب ولم يعينها الا بالسلب فهى المرئية بلا عين *والموجودة لا باين* فمن أحب أن يشهد ما يمكن شهوده منها * ويستكمل بالذوق ما أخذه عنها * فليكن قائماً بالامر فانه باب الله الجامع * الواجب على الدانى والشاسع * فمن ذلك أن يكون خيراً فاضلا متطهراً من دنس الحواس وليجدُ حبال الحس ويجد عزمته ويقوى همته ويسدد بصره ويرجع الى ذاته ويسافر الى باطنه فيجد عالماً مشرقاً يتلألأ ضياؤه ويجد نفسه مرآة رُقم فيها العالم الروحانى بنوع بسيط واتحاد يتمايز من غير تزاحم ويتفاضل من غير تحاسد وذلك أول مرقاة يترقى بها الى العالم الروحانى درجة درجة وكل درجة تسهل سبيل ما فوقها حتى يصل الى حده فيكون بعد ذلك بمأمن هنالك تنقطع عنه الا مثلة يعنى انه لا يصل اليها عبارة

فاذا رام ان يشهد ليقوى بالمثل ممثل ما استقبله من النظر عن الخبر فليعد الى نفسه فيشهد ذوقاً ما كان يسمع بعضه علما من ان النفس بهذه المنزلة من السعة وهذا التنزيه عن الحلول وهذه الصفة من الوحدة وهذه القوة على الكثرة وانها من البدن في كل جزء وليست في جزء ولا متصلة بجزء ولا

منفصلة عن جزء ولا ذات جزء * واذا كانت كذلك وهي مبدعة فما الظن بمن أعطاها ذلك كله ومكنها من اجابة دعوته * والاتصاف بصفته *ومن نظر ذلك على حقيقته * وتعاهده بسريرته * فهو الذي علم ان الله تعالى خلق آدم على صورته

﴿ التنبيه السادس ﴾ الأشيآء كلها فى النفس العاقلة بنوع كلى فاذا علمت ذاتها علمت الأشيآء كلها لانها مبدعة فيها ولما كانت الاشيآء كلها فى النفس بنوع كلى غلط كثير من الأوائل اذ قاسوا البارى عليها فقالوا لا يعلم الاشيآء الا كلية

﴿ التنبيه السابع ﴾ قال الامام الرازي النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب عن عالم الشهوات كانت كانها روح من الارواح السماوية فكانت قوية على التأثير فى مواد هذا العالم * وان كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية لم يكن لها تصرف البتة فى هذا البدن فاذا أراد هذا الانسان الجاءها بحيث يتعدى تأثيرها من بدنها الى بدن آخر الزمها الرياضة فقويت التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ولذلك أجمعت الامة على انه لابد لمزاولة هذه الاعمال من الانقطاع عن مخالطة المألوفات والمشتهيات وتقليل الغذآء والانقطاع عن مخالطة الخلق وكلما كانت هذه الأمور اتم كان التأثير أقوى فان اتفق ان النفس كانت مناسبة لهذا الأمر بماهيتها وخاصيتها كان التأثير أعظم *وسببه ان النفس اذا اشتغلت بشيء واحد استعملت جميع قوتها فى ذلك الفعل واذا اشتغلت بافعال كثيرة تفرقت قوتها وتوزعت على تلك الافعال فيصل الي كل واحد منها شعبة من تلك القوة * فلذلك ترى ان انسانين متساويين فى قوة الخاطر اذا اشتغل أحدهما بصناعة واحدة والآخر بصناعتين كان ذا الفن الواحد أقوى ومن حاول الوقوف على حقيقة مسئلة

من المسائل فانه حال تفكره فيها لا بد وأن يفرغ خاطره عما عداها ليتوجه الخاطر بكليته اليها فيكون الفعل أسهل وأحسن * واذا كان الانسان مشغول الهم أو الهمة بقضاء اللذات وتحصيل الشهوات كانت القوة النفسانية مشغولة بها مستغرقة فيها فيضعف الفعل الغريب فأما اذا تطابقت الحواس نحو التوجه الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه أقوى فيقوى التأثير

﴿ التنبيه الثامن ﴾ قال الامام الرازى النفوس اذا فارقت الابدان قد يكون فيها ما يكون شديد المشابهة لهذه النفس المرتاضة فى قوتها وتأثيراتها فاذا صارت هذه النفوس صافية انجذب اليها ما يشابهها من النفوس المفارقة ويحصل لتلك النفوس نوع ما من التعلق بهذا البدن والنفوس الناطقة اذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة من الارواح السماوية والنفوس الفلكية فتقوى بانوار تلك الارواح على أمور غريبة خارقة اه

﴿ التنبيه التاسع ﴾ قال فى الالواح النفس حية بذاتها مدركة لذاتها ولا يصح أن يكون ادراكها لذاتها بصورة فان الصورة التى فى ذاتك هى بالنسبة اليها هى فكيف يكون ادراك ما هو عندك ادراكاً لانا نبيتك فذاتك مدركة لنفسها لا بصورة لما ذكرنا ولانها جوهر مجرد عن المادة غير مباين لها ولا غائب عن ذاته * والبارى تعالى حي عالم مجرد عن المادة ومباين لها وغير غائب عن ذاته وعن لوازم ذاته والحى هو الدراك الفعال وواجب الوجود فعال لجميع الماهيات مدرك لذاته فهو حى واذا أمكن أن تكون النفس عالمة بذاتها لا بصورة فهو اولى بالوحدة والتجرد منها فقد دلت النفس على مبدعها وعلى تجرده عن الأيون والجهات وهذا معنى حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه فالنفس جوهر حى قائم بذاته برئ عن المحل والمواد فقد دل الحي القائم

على الحى القيوم

﴿ التنبيه العاشر ﴾ قال التلمسانى من شؤن النفس انها كلما قل اشتغالها بالبدن انبسطت وأعطت قواها وبالعكس اذا تلبست بالبدن حتى تبقى كالبهيمة البلهاء ومن خاصيتها انها كلما ازدادت علما فعلمت به ازدادت قوة على ما هو أغمض منه وأرفع فلاهى تنحصر ولا الامر ينتهي

﴿ التنبيه الحادى عشر ﴾ الوحدة الخالصة لما فوق النفس وهناك السكون المطلق والكثرة المطلقة لما تحت النفس وهناك الحركة المحضة والنفس واسطة بينهما وامتثالها للامر حركة وميلها عنه حركة فهى متحركة وفعلها كله حركة الى سكون في حركة أو سكون * فهي فى هويّ الى عدم مطلق أو رقىّ الى وجود محقق وليس عدمها بالذات ولا بعدم الحياة بل بعدم ما من أجله سخرت له السموات فهى مبدعة مودعة جميع الصور مما بطن وظهر ولهذا كانت مستولية على الكل ومتحركة بالاختيار اليه وعنه فلها الوحدة من جهة مبدعها ولها الكثرة من جهة ماأبدع فيها * فاذا قطعته بالامر بقيت بوحدتها أشبه بما فوقها فهى بصفته وعلى صورته لكن من جهتها لا من جهته اذ هو فوق السكون والحركة بهويته وله وحدة لاتشبهها وحدة حقيقية فهو الواحد المباين لكل واحد عددى وطبيعى وروحانى وهو الغنى والقيوم به فكل له يؤم واليه يشتاق ومنه يستمد وعنه وجوده وبه بقاؤه فهو فوق الاسماء والصفات وفوق التمام لأن التام هو المكتفى بنفسه ولا يقدر على ابداع شئ سواه والله هو المعطى لكل كامل كماله والمعطى لمن يعطى بنفسه لنفسه كماله

﴿ التنبيه الثانى عشر ﴾ سبيل هذا المطلب لمن أراد أن ينزع عن عالم الحس

ويرجع الى ذاته ويثبت هناك طويلا ويجمع ليكون كله هناك فاذا ركدت حواسه الظاهرة قوى على ان يحس بما لا يقع عليه الحس وذلك بمنزلة من أراد ان يسمع صوتاً لذيذاً من مكان بعيد فاذا أنصت مصغيا اليه وتعطل عما سواه أدرك مايمكنه منه وهذا الحكم فى كل محسوس فبالأولى ان تكون هذه الصفة واجبة بالحاسة الباطنة فلهذا خلقت النفس فهو عليها أسهل وهى به أوصل* ومن شروط ذلك الجد البالغ والحضور الكامل والشوق الذى بدوامه يدوم الدنوّ والتحديق وتفاض البركات فتلحظها النفس بجميعها فى جميعها والنفس البشرية لايمكنها التحديق الا للنظر من وراء سجف الباديات لكنها اذا أعطت ماعندها من بذل الجهد فيه تعالى اعطاها ماعنده مما أودعه فيها فكشف لها منها عن عين كانت بالكون عمياء فعاد البصر حديداً والقديم جديدا * وذلك غير الحركات الوهمية التى لاتسافر الفكرة الا بها وليس للوهم والفكر والتخيل مكان تستقر فيه تلك الملحوظات فتبقى به كالمحفوظات بل انما هو ذوق تجده النفس فى حينه وتبقى قوته فيها بعد ارتفاعه عنها من غير التصاق بتخييل أو الحاق بتمثيل وقد كان ذلك فيها بالقوة ماليس العدم الا هو وهو فيها بالفعل ماليس الوجود الا هو ولن يقدر على ذلك الا من استغرق عقله حواسه وغاب باطنه على ظاهره وقام بالأمر فى حده فبذلك عرف لا بمنطق وقياس

﴿ التنبيه الثالث عشر ﴾ القياس يصحح على العقل الملتبس بالمادة ماعساه ان يغلط فيه كما تصحح المسطرة والبيكار على الحس الخط والدائرة فاذا تجرد العقل عن المادة استغنى عن القياس كما هو مستغن عن المسطرة والبيكار بما فيه من معرفة الخط المستقيم والدائرة على الصحة وسؤال لِمَ بحث عن السبب وبرهان لم يعطي السبب فمن هو السبب وعنه يصدر السبب كيف يبحث عنه

بلم أو يكشفه برهانها

﴿ التنبيه الرابع عشر ﴾ الكون كله مظاهر صفات النفس لكنها محجوبة برؤيته عن رؤية صفاتها فيه حتى تتصف بصفات البارى تقدس فاذا اتصفت بها كانت صفاتها مظاهر صفاته فيها فانكشف حجاب الكون فعادت مظاهر صفاتها فيه مظاهر صفات البارى فيها فرأت بالحجاب وقد كانت محجوبة بالرؤية * وكما أن موجودات الكون الدنيوى بأسرها مظاهر صفات الحق وطريق الى القرب منه بزيادة المعرفة به فكذا موجودات الكون الأخروى بأسره فالجنان وما فيها مظاهر صفاته ودلالات ما فيه موصلات اليه واذا عاد الحجاب كاشفاً فقد ارتفع الفرق وتجلى جمال الحق فى ظل مبدعاته لاولى العقول مع غاية التنزيه عن الاحاطة ونهاية التنزيه عن الحلول * ولا تحسبن أن جمال الكون الاخروى له صورة خارجة عن ذات المتصف ولا ان الصورة لغير ذاته بل هى الذات التى لها الصور التى لا تتناهى * ولا تحسبن أن هذه الصورة ملحوظة لها منها بغيرية الوسائط كما قد يلحظ المتصور فى تخيله صورة جميلة أو معنى لطيفاً عن عبارة رائقة فلا فرق بين ذلك وبين ما يصل اليه باحدي حواسه من لذة عن جسم بل ليكن كافياً لك فى باب المثال ما تجده عند غاية التذاذك باحدى المذوقات الانيقة حين فاقة منك اليها وذلك من وراء حجابَى جسمك وجسمه ثم افرض رفع الحجابين تجد اللذة فى معدنها منك صافية طاهرة من دنس حجب الصور مما بطن وظهر ومن عز عليه سلوك هذا السبيل فعليه باتباع الدليل فى قتل الامّارة واحياء المطمئنة ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا

﴿ التنبيه الخامس عشر ﴾ لما كان الانسان الحقيق الذى هو النفس

الناطقة مخلوقا على صورة الخالق وقد استحال أن يكون على صورته أبداً بمعنى انه لا يقبل العدم وهذه صورة ظاهرة للعقل واجبة فى الشرع وكان الانسان على صورة الصانع فى القدرة على فعل ما يشآء فيما اليه فعله أو تركه وهو حى لا يموت من جهة كونه على صورة الصانع فى أنه حى لا يموت لزم أن يكون مرحيًّا خالداً فى رُقىّ وهو النعيم * أو فى هوِىّ وهو الجحيم وبهذا أخبر الرسول وبصحته قضت العقول .

﴿التنبيه السادس عشر﴾ النفس مفطورة على صورة الفاطر من جهة انها غيب لا يظهر الا بصفته والصفة المظهرة لها لا تكون الا متعلقة بمحدث فاذا ظهرت النفس بتلك الصفة المتعلقة بالمحدث تميزت وتبقى ظاهرة كظهور المحدث المحسوس فيكون الحكم عليها انما هو من جهة مابه ظهرت لا من جهة ذاتها التى هي غيب اذ تلك لا تصح الاشارة اليها

﴿التنبيه السابع عشر﴾ لو قال المحبوب لمحبه ان أحببتنى فأحِبَّ نفسك فأَحبَّ نفسه كان قد أحبّ المحبوب بنفس محبته لنفسه وكذا العبد اذا أراد الجنة من أجل نفسه لكونه علم أنّ ربه يريد منه ذلك صار مراده لاجل نفسه عين مراده لاجل ربه فقد وجب عند العارف طلب الجنة والهرب من النار وصار الوعد كله تحفاً من كريم لا يحسن ردُّها وان لم يكن المتحوف بها واقفاً عندها ولكن تحقق أن الوقوف مع الامر هو غاية القصد ليصح للواقف انه هو العبد وهذا عين ما جاءت به الشرائع وغير الفضول المقترح عن فساد العقول بدعوى رتبة أعلى من رتبة أرسل بها الرسول الذى هو بعبوديته قام على الشرف الأعلى وشهد له بذلك المولى

﴿التنبيه الثامن عشر﴾ قد قررنا أنّ النفس لا معنى لها الا ما يظهر

بالصفة عنها فلها الحياة من جهة بارئها اذ هى على صورته ولها الحياة من جهتها اذا اتصفت بصفته واذا كان اتصافها ليس الا فى امتثال أمره وهو عين الحياة ففى ضده وهو مخالفة أمره عين الممات ولما كان الانسان فى قوته الحياة من جهة ربه وله الموت من جهة نفسه عاد لا يموت فى صفته لما أودع فى قوته ولا يحيا فى صفة صانعه لما باينه بصفته وهو معنى ثم لا يموت فيها ولا يحيي وقد خاب من دساها

﴿التنبيه التاسع عشر﴾ النفس من جهة صانعها مجملة بكل جمال مجللة بكل جلال مكملة بكل كمال مصونة فى خدور الاسرار محتجبة كاحتجاب الابكار لا تدركها الابصار ولا تكتنهها الافكار فمتى خرجت باذن سيدها فقد فتحت بابها وهتكت حجابها وبذلت مالها وبدّلت جمالها وهى الغائبة بالذات الحاضرة بالصفات فأولها آخرها وباطنها ظاهرها وأفعالها مظاهرها فظهورها بالمخالفة هبوط نفى عنها الجود وبالموافقة عروج أثبت لها الوجود

﴿التنبيه المتمم عشرين﴾ قال الامام الرازى فى الاسرار هنا لطائف (الاولى) انه تعالى خلق الارواح من عالم الجمال والقوة العملية المدبرة للبدن من عالم الجلال ولولا ان الارواح مستورة بظلمات الاجساد لسجد لها كل كافر (الثانية) قال بعضهم خلق الله الارواح من النور والطيب والعلو والعلم والحياة * أما النور فلأنه ما دام الروح فى الجسد نورانياً فالعينان تبصران والاذنان تسمعان واللسان يتكلم والقلب يفهم والدماغ يتفكر فهذا يدل على ان الروح من عالم الانوار * والدليل على انه من جوهر الطيب انه ما دام الروح فى البدن فهو مصون عن الفساد والتفرق والانحلال * والدليل على انه من جوهر العلوم انه ما دام الروح فى البدن نورانياً يكون البدن مرتفعاً عن

الارض غير ملتصق بها وكلما ازداد الروح قوة زاد الارتفاع ألا ترى ان الانسان عند استيلاء أنوار الروحانيات على روحه يأخذ فى الخفة وسببه انه قوة روحانية فصارت تلك الروحانية جاذبة من الارض الى عالم السماء (والانبياء لما كملت هذه الاحوال فيهم صعدوا الى السموات قال الله تعالى فى حق ادريس ورفعناه مكانا عليا وفى حق عيسى انى متوفيك ورافعك الىّ وفى حق محمد فكان قاب قوسين أو أدنى * والدليل على انه من جوهر العلم ان محل العلم هو الروح وذلك لان من العلوم علوما علوية غيبية طاهرة مقدسة فلا يكون محلها الا الجوهر القدسى العلوى * ودليل انه من جوهر الحياة انه متى انقطع أثره عن جزء من أجزاء البدن صار ذلك الجزء ميتا كما فى المفلوج وان تعلق بكل البدن صار كله حيا * وبالجملة فالروح كالشمس والحياة كالنور الفائض عن الشمس وكما ان كل جسم وصل اليه نور الشمس انقلب من الظلمة الى الضياء فكذا كل عضو يصل اليه نور الروح تنقلب حالته من الموت الى الحياة

﴿ التنبيه الحادى والعشرون ﴾ دلالة ارتباط هذا البدن بالروح على افتقار كل العالم الى الصانع فى غاية الظهور لان هذا البدن مملكة صغيرة جدا واذا كانت هذه المملكة الصغيرة لا يعقل استغناؤها عن ملك مطاع فيها فكل العالم الذى هو المملكة الكبرى كيف يمكن استغناؤه عن مدبر يدبره ومتصرف يتصرف فيه وكما ان المدبر فى هذه المملكة الكبرى يجب كونه واحداً فكذا فى هذه المملكة الانسانية الصغرى

﴿ التنبيه الثانى والعشرون ﴾ المؤمن بذاته وبصفاته علوى * أما ذاته فلقوله سبحانه ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون يرفع الله الذين آمنوا منكم

والذين أوتوا العلم * وأما أفعاله علوية وأقواله علوية فلقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * وكتابته علوية لقوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وكلمة الله هي العليا

وأما الكافر فكله سفلي وأفعاله سفلية فجعلناهم الاسفلين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين

فياأيها المؤمن العلوى لا تجعل نفسك ظلمانية بالاعراض عن الله ﴿ واعلم ﴾ ان الروح محل العلم والموجودات ثلاثة أقسام * موجود لايجوز ان لايعلم وهو الله تعالى * وموجود لايجوز ان يعلم وهو الجماد * وموجود يجوز أن يعلم وان لا يعلم وهو أنت أيها الانسان فان صرت تعلم شيأ فقد تخلقت بأخلاق الله تعالى وان صرت لا تعلم شيأ فقد صرت تشبه الجماد فامتيازك عنه والتحاقك بزمرة الملائكة المقربين انما يحصل بسبب اتصال الروح بالبدن وبهذا ظهر فضل الروح ومنقبتها وشرفها والله أعلم قال الناظم

﴿ هبطت اليك من المحل الأرفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع ﴾

﴿ اللغة ﴾ (الهبوط) النزول يقال هبط يهبط هبوطا نزل وأهبطه الله أنزله وانهبط انحط والهبط الوقوع فى الشر قال الزمخشرى ومن المجاز هبط الرجل من منزلته وهبطوا من حال الغنى الى حال الفقر (والمحل) بفتح الحاء والكسر لغة حكاها ابن القطاع موضع الحلول والمحلة بالفتح المكان ينزل به القوم (والأرفع) البالغ فى ارتفاع الرتبة حسا او معنى (والورقاء) بالمدحمامة لونها لون الرّماد من قولهم جمل أورق اذا كان لونه رمادياً هذا أصله ثم توسعوا فسموا الحمامة ورقاء بأىّ لون كانت كما يشير اليه قول الصحاح وغيره يقال للحمامة ورقاء لان لونها بياض الى سواد (والتعزز) التماسك مع شرف

وتعاظم (والتمنع) شدة الاباء فعطفه عليه يقرب من عطف الرديف

﴿ الاعراب ﴾ (قوله هبطت) فعل ماض والتاء للتأنيث (وقوله اليك ومن المحل) كلاهما متعلق بهبط * ومن فى قوله من المحل ابتدائية ويبعد جعلها تبعيضية (والارفع) نعت للمحل (وقوله ورقاء) فاعل هبطت (وذات) صفة له وهو مضاف وتعزز مضاف اليه (وتمنع) معطوف عليه وجوز بعضهم كون ورقاء حالا من الضمير فى هبطت

قال شيخنا الفاضل داود الانطاكى فى شرحه عفى الله عنه وعليه تكون الروح هي الحمامة وهو باطل بالبداهة قال وقول الرئيس مبالغة لكونه تشبيها حذفت اداته وذلك أرفع أنواعها والمعنى هبطت اليك كالورقاء فى قوة وشدة النزول الى هنا كلامه

وهذا ناشئ عن الوقوف مع الذهن وخلطه الألفاظ اللغوية بالقوانين العرفية كيف وقد صرح أساطين المعرفة وسلاطين المتصوفة بأن الورقاء عندهم فى عرفهم هي النفس الكلية والروح المنفوخ فى الصور المسواة بعد كمال تسويتها وأولُ موجود وجد عن سبب وهذا السبب هو العقل الأول الذى وجد لا عن سبب غير العناية والامتنان الالهي * قالوا ولما كان للنفس لطف التنزل عن حظائر قدسها الى الاشباح المسواة سميت ورقاء لحسن تنزلها من الجوّ وسيجيء لذلك مزيد كذا نقله عنهم المولى العديم المثال الشمس بن الكمال وغيره من فحول الرجال

﴿ المعنى ﴾ اعلم ان الناظم جرد من نفسه شخصاً يخاطبه أو أنه سأله انسان من أين وصلت النفس التى هذا الهيكل فأجابه بقوله هبطت من المحل الاشرف الارفع الى هذا الحضيض الاخس الاوضع * وأثر الهبوط على

السقوط لان الهبوط الحركة من علو الى سفل ممن له شعور ما والشعور يباين السقوط وان اشتركا فى مطلق الحركة اذ يقال فى الحجر النازل سقط وفيمن تنكس من أوج جبل الى سفحه سقط ولا يقال لجبريل سقط بالوحى بل هبط * وعلى النزول واخواته لان الهبوط مشعر بضرب غض فأشعر ببيان أن مهبطها دار عناء وبلاء وبعاد لايخلد فيها ولا يرتاح اليها * وقد ذكر فى القاموس وغيره الهبط الوقوع فى الشر *والزعم بأنه اختاره على النزول لأنه لايكون الا من الاعلى والنزول يكون بمعنى الحلول غلط لذهول اذ كما ان أصل النزول الانحطاط من علو ويرد بمعنى الحلول فالهبوط كذلك الا ترى الى قول العلامة الزمخشرى هبط من بلد الى بلد انتقل وهبطوا الوادى نزلوه فهما سواسية من هذا الوجه * ولهذا فسر بعض أعلام الروم الهبوط بأنه الانحدار على وجه القهر والغلبة كهبوط الحجر قال واذا استعمل فى الانسان فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الانزال فان الانزال ذكره الله تعالى فى الاشياء التى نبه على شرفها كانزال القرآن والملائكة والمطر وغيرها والهبط ذكر حيث نبه على الغض نحو قوله قلنا اهبطوا * ومن لم يتنبه الى هذا التقرير زعم انه انما يعبر بنزل أو انتقل أو رحل لانه انما يليق بالاجسام بخلاف هبط وهذا هلهل بالمرة كيف وقد قال تعالى لآدم ومن معه اهبطوا أهم غير اجسام

والمراد بالمحل الارفع عالم العقول المجردة الذى تفيض منه النفوس على الابدان عند حصول الاستعداد للفيضان فليس المراد بالمحل فى عبارة الناظم المكان الظرفى ولا الجهة الظرفية بل المراد مكان العلو والشرف كما فى قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وهو القاهر فوق عباده اذ الفوقية ليست فوقية

الجهة والمكان الظرفيين بل فوقية الشرف والتقديس

والمراد من الهبوط الفيضان أو التوجه أو التعلق على سبيل التوسع والمجاز ضرورة امتناع الحركة فى المجردات فسمى الفيض هبوطاً لكونه انتقالا من العالم الروحانى الشريف الى عالم الاجسام الخسيس الكثيف فلما كان انتقالا من عالم الروحانيات الرفيع الى عالم خسيس أطلق عليه اسم الهبوط * وأما قول الشارح المحقق اختار الهبوط على غيره لأن الخطاب للنفس فى القرآن بما اشتق من الهبوط نحو قلنا اهبطوا فردٌّ بأن هذه المقدمة مع كونها خطابية غير مفيدة لأن الهبوط المستعمل هنا منزل على المجاز كما تقرر وما فى القرآن محمول على معناه الحقيقى بناء على أن النفوس الانسانية جسمانية عند أهل الملة ما عدا الامام الغزالي والامام الرازي وطائفة واذا لم يحمل الهبوط على المعنى المجازى يكون ظاهر البيت يدل على أن النفس جسم وذلك ليس بمذهب الناظم

قوله ورقاء ابرزها موصوفة مبالغة فى شرفها وعلوها فان الموصوف اذا لم يبرز الا باوصافه تشوقت النفوس الى شرفه واعظميته الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى ان المتقين فى مقام أمين وما يلقاها الا الصابرون فابرزهم باوصافهم تفخيماً لشأنهم وتنويها برفعة محلهم * وسمى النفس باسم الطائر دون غيره لانه بالقياس الى غيره من الحيوانات أقل كثافة والطف جوهراً ولانه اذا ذكر الهبوط لم يحسن ان يوصف به الا الطائر ولا شئ فى هذا العالم مما يتحرك بالارادة أتم وأكمل والطف فى الهبوط والصعود من ذوات الجناح فلما كانت الجواهر الروحانية بالقياس الى الموجودات الجسمانية موصوفة باللطافة أيضاً كان بينهما مناسبة من هذا الوجه ولذلك كثيرا ما تمثل الموجودات الروحانية

لاهل المشاهدة فى صور طيور ذوات أجنحة وخص الحمام من بين جميع ذوات الاجنحة لانه أكثر استئناساً بالآدمين منها ولانه موصوف بكثرة الشوق والحنين الى الاتصال بالمفارقات والتلذذ بمصاحبة الدائمات الباقيات وتوصف أيضاً بالشوق الدائم والبكاء اللازم كما يأتى وصفها بذلك في النظم فى قوله تبكى وقد ذكرت عهوداً بالحمى

وقول الشارح انما عبر بالورقآء لانّ لونها لايرى فى الهوآء لكونها اسرع طيرانا وتصاعدا من غيرها رُدّ بمنع أن غيرهذا اللون لايرى فى الهوآء لان كل ملوّن مرءىّ عند توفر شروط الرؤية ولا نسلم انها أسرع من غيرها طيراناً وان سلم فلا نسلم أن ذلك يوجب التعبير عنها بالورقاء وانما يكون ذلك لوكانت السرعة مشتركة بينهما وتكون النفس أسرع من غيرها كالورقاء بالقياس الى الطيور ولا يمكن المصير لذلك لان النفس من المجردات والسرعة من لوازم الحركة وهى من لوازم الاجسام

قوله ذات تعزز وتمنع وصفها بهما وحق لها ذلك اذ من نشأ بالافق العلوى وأبناء جنسه الملأ القدسى وماهيته مجردة عن ممازجة المواد وملازمة الكون والفساد جديرباًن يتعزز ويتمنع عن وصال الاخلاط الجسمانية ومقارنة الصفات المتضادة المتنافرة وملابسة المتخللات المتلاشية وقيل أراد بكونها ذات تعزز وتمنع أنّ ادراكها غيرمبذول لانها غيرمحصورة ولا من الامور المدركة بسهولة بل انما تدرك بالاستدلال عليها بالآثار مع دقة النظر وذكاء القريحة فادراكها صعب جداً ولهذا قال المهندسون النظر الصحيح لايفيد فى الالهيات فان أقرب الاشياء الى الانسان هويته وقد اختلفوا فيها اختلافا كثيراً فى انها ماهى وكيف هى فما ظنك بابعد الاشياء من الاوهام والعقول

﴿ تنبيهات ﴾

﴿ التنبيه الاول ﴾ قال الغزالي النفس الحيوانية هى كمال جسم طبيعى بها يحس ويتحرك وهذه النفس هى حرارة مودعة فى النطفة ودم الطمث المجتمع معها فى الرحم فاذا سقط المنى فيه وقبله امتزج بمنى المرأة ثم سقط على الدم فاجتمع عليه كالسمن فى اللبن فعقده بحره واستمد الجزء من خارج وتزايدت الحرارة الغريزية فأول مايتكون القلب ثم تنتشر فيه العروق والعصب ويتفشى ذلك الحرّ فيه حتى تكمل اعضاء الجنين وتستمد الحر من الامّ والام من الاغذية فاذا بلغت تلك الرتبة استحقت من الجود الالهى نفساً فحينئذ يوجد الرب تعالى قوة من عالم الامر كما قال فاذا سويته ونفخت فيه من روحى

والعالم من محرك الفلك التاسع من الصفحة التى تلى جهة فوق الى التى تلى جهة أقدامنا مملوء جنودا وملائكة وما يعلم جنود ربك الا هو * وقد تبين فى العلم الطبيعي انه لايجوز ان يكون عالم خارج الكرة التاسعة وان لاخلاء البتة وان كل موجود للبارى فى هذه الكرة والنفس جوهر روحانى لطيف * ولا ينبغى ان ينكر منكر ذلك وقد شاهد شعاع الشمس وروحانيته وبساطته حتى ان قرصها يكون بالمغرب وشعاعها بالمشرق فما هو الاّ أن يغيب خلف جبل فينقطع الشعاع الذى بالمشرق بلا زمان فلو كان جسما ماانقطع فى عدة سنين واذا أخذت مرآة وعكست بها الشعاع انعكس الى حيث شئت ثم تعطفه لافى زمان وجوهر الشعاع بالاضافة الى جوهر النفس كثيف فليس فى العالم موضع الا وهو معمور بما لايعلمه الا الله ولذلك أمر الشارع بالستر فى الخلوة وعند الجماع والعالم مشحون بالارواح

ثم اذا بانت الروح الحيوانية أوجد الله نفساً جوهراً لطيفاً روحانياً عالماً

بالقوة من طبعه أن يعلم الامور ويعقل بذاته فيتشبث بهذا الجسم وينشأ معه حتى لا يعرف سواه ويشتد الفه وحرصه عليه حكمة من الله تعالى تحوط الاجسام وذلك كالحديد فانه جماد فلا يتحرك الا أن يضاف اليه أمر يقوى طبعه وخاصيته فلا يزال على تلك الحال حتى ينخرم ذلك النظم وتزول تلك الملازمة فلا تزال هذه النفس مع هذا الجسم والملائكة تمدها من خارج بنطق عقلىّ لا يعرفه الا العلماء بالله * وقد أخبر الشارع أن الخير من الملائكة والشر من الشيطان فلا بد من أثر يحصل عن الملائكة * ولما كانت النفس روحانية قبلت عن الروحانى وتأثرت عنه * ولولا العقول المعبر عنها بالملائكة الممدة للنفوس من خارج لما عقلت معقولا البتة فان النفس عالمة بالقوة فقط والملائكة تخرج مافى القوة الى الفعل حتى تصير النفس عالمة بالفعل * فأعلى طبقة الاستمداد للانبياء ثم الاولياء وذلك هو المعنىّ بقوله تعالى اذ أيدك بروح القدس كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه وتفاوت الناس فى الاخذ عن الملائكة لانهاية له ومنهم من لا يأخذ شيئاً وهم المرادون بقوله تعالى ان هم الا كالأنعام

وانما أوجد الله النفس لامتحان الآدمى ولو أوجدها مبرأة من المادة لم يكن فيها عصيان فجعلها فى مادة كما قال تعالى لينظر كيف تعملون فالنفس أهبطت لتكسب فى بدنها الكمال لتلحق بالملائكة أو بالشياطين اماّ بالملاء الاعلى أو بالأسفل الى هنا كلام الغزالى

وقال في موضع آخر الانسان عبارة عن حيوان ناطق ضحاك منتصب القامة وهذا الحد يتناول جسمه ونفسه لضرورة الفصل بينه وبين الاشخاص الحية * ثم هذا الحيوان الناطق أعنى الانسان تنقسم جملته فى التقسيم الكلى

الى ثلاثة أشياء جسم وروح ونفس (فالجسم) هو المؤلف من المواد والعناصر الحامل لنفسه وروحه وهو الشكل المنتصب ذو الوجه واليدين والرجلين الضاحك (وأما الروح) فهو الجارى فى العروق الضوارب والشريانات (وأما النفس) فهو الجوهر القائم بنفسه الذى هو ليس فى موضوع ولا يحل شيئاً

ولنتكلم على الجسم بمقدار مرشد الى الغرض فنقول قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة الآية * وقال فاذا سويته ونفخت فيه من روحى * وأخبر تعالى عن الثلاثة الأمور بانها جسم وروح ونفس * وحقيقة الروح الحركة الغريزية المنبثة فى الاعصاب والعضلات وهى موجودة فى البهائم وبها حياتها والفصل بين الآدمى والبهائم هو النفس التى اضافها اليه تعالى بقوله ونفخت فيه من روحى فلو كانت للآدمى هذه النفس دون الروح المخلوق للبهائم لقصر عن أفعال البهائم فى الاكل والجماع والتصرف ولو أن البهائم أعطيت النفس التى أعطيها الآدمى لكانت عاقلة مكلفة فخرج من الجملة ان للانسان روحا وجسما ونفسا وللبهائم روحا وجسما لاغير اه

وقال في موضع آخر اذا قبل الرحم النطفة يمتزج به منيّ المرأة ثم ينضجه الرحم بحرارته فيزيد تناسباً حتى ينتهى فى الصفاء واستواء نسبة الاجزاء الى الغاية فيستعد لقبول الروح وامساكها كالفتيلة التى تستعد عند شرب الدهن لقبول النار بامساكها الدهن فالنطفة عند تمام الاستواء والاستعداد تستحق روحا يدبرها ويتصرف فيها فيفيض الله فيها الروح من وجود الوجود الواجب لكل مستحق ما يستحقه ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من غير منع ولا زيادة ولا بخل (فان قيل) ما الزيت الذى اشتعلت به الروح فى فتيلة

النطفة (قيل) هو صفة في الفاعل وصفة فى القابل * أما صفة الفاعل فالجود الالهي الذى هو ينبوع الوجود وهو فياض بذاته على كل ماله قبول الجود ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثاله فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع الحجب بينهما والقابلات هى المتلونات دون الهواء الذى لا لون له * وأما صفة القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية * ومثاله صقالة الحديد فان المرآة التى يستر الصدأ وجهها لاتقبل الصورة وان حاذتها فاذا صقلت وحصلت المقابلة حدثت الصورة فيها من الصورة المحاذية فكذا اذا حصل الاستواء فى النطفة حدثت فيها الروح من خالقها من غير تغيير فى المحل بل انما حدثت الروح الآن بحصول الاستواء الآن لاقبله بتغير المحل

﴿التنبيه الثانى﴾ هل الهبوط بالنفس من وظائف الروح الأمين عليه السلام أو ملك آخر أو الهبوط من واهب الصور بغير واسطة قال الغزالي يحتمل انه بواسطة جبريل وان تسميته روحا لكون صدور الارواح أى النفوس منه بأن يجعلها الله سبحانه بواسطته قال وهذا من الفن الذى لايعلم تحقيقا بل تخمينا * وانما نعلم تحقيقا ان النفوس حادثة وليس سبب حدوثها جسما من الاجسام بل جوهر حي قائم بنفسه ليس بمتحيز وأما اسم ذلك فى الشرع فهذا مما لايعلم الا تخميناً * وانما تشبث بهذا الحدس قوم لايميزون بين التخمين والتحقيق ويظنون كل سوداء تمرة ويشتغلون بما لايعنى اه * وقد ذكروا مايفيد الجزم بانه جبريل فانهم قالوا ان افاضة النفوس عند كمال الاستعداد يكون من حضرة العقل الفعال الذى هو العاشر وذكروا انه الذي يسمي بلسان الشرع جبريل

﴿التنبيه الثالث﴾ وقع فى كلام الغزالى فى الدرة الفاخرة انّ روح المؤمن

على صورة النحلة وروح الكافر على صورة الجرادة وهذا شئ لايعرف ووقع فى حديث الصور أنّ اسرافيل يدعو الأرواح فتأتيه جميعا أرواح المسلمين تتوهج نوراً والأخرى مظلمة فيجمعها ويعلقها فى الصور ثم ينفخ فيه فيقول الرب تعالى لترجعنّ كل روح الى جسدها فتخرج الأرواح من الصور مثل النحل ملأت ما بين السماء والأرض فتأتى كل روح الى جسدها فتدخل فتمشى فى الأجساد كالسم فى اللديغ فقوله مثل النحل ليس تشبيها فى الهيئة والصورة بل فى الخروج وهيئته فقط فلا ينافى ماتقدم من أن روح المؤمن على صورة النحلة وروح الكافر على صورة الجرادة

﴿ فائدة ﴾

زعمت الفلاسفة ان الكواكب لها نفوس كمالنا نفوس وقالوا انها حية ناطقة وانها مع العالم الاعلى كنحن مع اجسامنا وان لها الفعل الاختياري والاضطرارى قال الغزالي وهذا ابتداء لا ننكره فلم يدل على ابطاله كتاب ولاسنة ولا اجماع ومن أنكره فعلى طريق التغليط ولا برهان البتة فلنجعل ذلك جائزاً ومذهبنا أنّ الباري تعالى هو الفاعل المطلق مسبب الأسباب وموكلها بمسبباتها فسواء على مذهبنا كونها حية أم جماداً وقصارى الأمر ان تكون كنحن ولا ننكر وجودها ولا تصرفها فى عالمها فانكار هذا رعونة محضة وحماقة تامة

محجوبة عن كل مقلة ناظر * وهى التى سفرت ولم تتبرقع

﴿ اللغة ﴾ (الحجاب) كلما ستر المطلوب أومنع من الوصول الى المرغوب ومنه قيل للستر حجاب لمنعه من المشاهدة وقيل للبواب حاجب لمنعه من الدخول وأصله جسم حائل بين جسدين ثم استعمل فى المعانى فقيل العجز

حجاب بين الرجل ومراده والمعصية حجاب بين العبد وربه * قال الزمخشرى
ومن المجاز احتجبت الشمس فى السحاب وهتك الخوف حجاب قلبه (والمقلة)
وزان غرفة شحمة العين التى يجتمع فيها السواد والبياض كذا فى الصحاح
وفى المصباح شحمة العين التى تجمع سوادها وبياضها ومقلته نظرت اليه ورجل
مقلة بوزن صرعة يكثر المقل أى النظر * قال الزمخشرى ويقال فى خطه حظ
لكل مقلة كأنه خط ابن مقلة وفلان كلما دوّر القلم نور المقل وجلى العقول وحل
العقل ومقلته بعينى وما مقلت عيناى مثله (والنظر) تأمل الشئ بالعين ونظرته انظره
نظراً ونظرت اليه أيضاً أبصرته والفاعل ناظر والجمع نظارة والناظر السواد الاصغر
من العين الذى يبصر به الانسان شخصه ونظرت فى الأمر تدبرت وقال بعضهم
يتعدى الى المبصرات بنفسه وبالى ويتعدى الى المعانى بفى فى قولهم نظرت فى
الكتاب هو على حذف معمول تقديره نظرت المكتوب فى الكتاب (والسفر)
بالسكون الكشف وسفرت الشىء سفراً من باب ضرب كشفته وأوضحته
وسفرت المرأة سفورا كشفت وجهها فهى سافر بغير هاء وأمرأة سافر ونساء
سوافر وسفرت برقعها عن وجهها وما أحسن مسفرَ وجهه ومسافرَ وجوههم
* قال الزمخشري ومن المجاز وجه مسفر مشرق سروراً وجوه يومئذ مسفرة
وسفرت الريح عن وجه السماء وسفر عن وجهك الستر (والبرقع) ستر
الوجه بخرقة منقوبة على محاذاة العينين كما يفيده كلام المطرزى وغيره والبرقع
وزان قنفذ خريقة تثقب للعينين تلبسها الدواب ونساء الاعراب قال وأما البرقعة
بالهاء كما فى شرح المختصر فأخص من البرقع أن صحت الرواية ومنه فرس
أغر مبرقع أى أبيض جميع وجهه وفى المصباح البرقع ما تستر به المرأة وجهها
وفتح الثالث تخفيف ومنهم من أنكره وبرقعت المرأة البستها البرقع والمراد

بستر الوجه فى عبارة الناظم ستر الذات على حدّ كل شئ هالك الا وجهه

﴿الاعراب﴾ قوله محجوبة خبر مبتدا محذوف تقديره هي يعنى النفس محجوبة ولك نصبه على الحال واياماً كان فقوله (عن كل) صفة لها لأن الظرف اذا وقع بعد نكرة محضة كان صفة لها أو معرفة كان حالا وبعد محتملهما يحتملهما (ومقلة) مضاف وناظر مضاف اليه وقوله (وهي التى) مبتدا وخبر وجملة (سفرت) صلة الموصول وعطف عليه (ولم تتبرقع) عطف جملة على جملة

﴿المعنى﴾ قوله محجوبة أى ممنوعة عن الادراك بالحواس الظاهرة فكل من رام ادراكها بالقوة المودعة فى ملتقى العصبتين المفترقتين الى العينين التى تدرك بها الالوان والاضواء بانطباع شبح المرئىّ في حيز من الرطوبة الجليدية يرجع بصره خاسئاً وهو حسير لأنها لما كانت فى ماهيتها مبرأة عن ممازجة المواد منزهة الحقيقة عن الكون والفساد تعالت عن اداك الابصار وتقدست عن احاطة الافكار اذ امتناع الادراك البصرى لشئ اما أن يكون لان ذلك الشئ غير قابل للابصار أو يكون لمانع من الادراك وان كان الشئ قابلا للابصار فالثانى ما كان ماديا كالاجسام والاول ما كان مجرداً فى ماهيته عن المواد كالأول تعالى والعقول المقدسة والنفوس الناطقة فلذلك استحال الادراك لماهياتها وما هو كذلك لا يحتاج فى عدم ادراكه الى مانع وفى حصول اداكه الى ارتفاع ذلك المانع لكنها تدرك بنظر العقل فكأنها بحسب الادراك مكشوفة غير محجوبة عنه فمعنى كلام الناظم أنها متعالية عن الادراك بالحواس مع كونها جلية ظاهرة لكل عاقل من الناس لأنها شديدة الظهور عند النظر الى آثارها وأفاعيلها الدالة عليها * وتعقبه بعضهم بانه ان أراد بانها مكشوفة أنها ظاهرة الانكشاف كما يصفونها من كونها مجردة عن المادة

استدلالا من أفعالها فهو ممنوع لجواز كون مصدرها جسمانيا كما هومذهب المتكلمين * وان أراد أنها معلومة الماهية فممنوع لأن حقيقتها غير معلومة عند أكثر العقلاء اه * ونوزع بما فيه تعسف * وفى نسخة بدل قوله ناظر عارف فيدخل غيره دخولا أوليا لانه اذا كان العارف بالعقل الاكمل والطباع التام والتحرى الاشمل عاجزاً عن ادراكها فغيره أعجز * ولكنها مع كمال الخفاء وشدة الغموض مدركة بالعقل فهى واضحة جلية لمن يريد معرفتها بطريق البرهان قد أفلح من عرفها واستكملها وخسر من ضيعها وجهلها كما قال تعالى قد أفلح من زكاها الآية * قال السهروردى وقد ورد فيمن يجهلها قوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم مع قوله ان الله يحول بين المرء وقلبه والقلب هنا اشارة الى النفس لا الى العضو المعروف * وهذه النفس التى نسميها الناطقة قد ورد فيها في التنزيل مثانى منها قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه وقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى * وهذه الاضافة تؤذن بشرف النفس وكونها جوهراً الهيًا وقوله قل الروح من أمر ربى والامر هو الفارق فالنفس أمره ونوره والكل مستعبد بالاضافة الى الربوبية * وهذه هي التى أشار اليها المصطفى بقوله انى أبيت عند ربي يطعمنى ويسقينى * وهى التى فى الرفيق الاعلى * واياها عنى على كرم الله وجهه بقوله ماقلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ملكوتية وبنفس بنور ربها مرضية * واياها عنى أبو يزيد بقوله انسلخت من جسدى فرأيت من أنا * وقوله طلبت ذاتى فى الكونين فما وجدتها * واليها أشار الحلاج بقوله تبين ذاتى حيث لا اين * وقوله عند صلبه حسب الواحد إفراد الواحد والى معادها أشار بقوله

اقتلونى يا ثقاتى * ان فى قتلي حياتى

وحياتى فى مماتى * ومماتى فى حياتى

واياها عنى بقوله

هيكلي الجسم نورى الصميم * صمدى الروح ديان عليم

عاد بالروح الى أربابها * فبقى الهيكل فى الترب رميم

واليها أشار بعض أكابر الصوفية بقوله الصوفى مع الله بلا مكان وحاله أنه كائن بائن * واليها أشار المسيح عليه السلام بقوله تشبهوا بابيكم السماوي وبقوله أبى وأبوكم فقد نسب النفس الكلية الى القدس واليها عنى لما قال لا يصعد الى السماء الا من ينزل منها * وورد فى حق المصطفى فى التنزيل دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى * ولولا تجرد نفسه من الحيز لما صح دنوها من عديم الحيز تعالى

﴿ واعلم ﴾ أن الانسان يتبدل عليه جسده ولا يتبدل المدرك لذاته فيه وقد يبقى نوعه دون كثير من الاعضاء فان القلب والدماغ والاعضاء الباطنة يحتاج فى معرفتها الى تشريح وأنت تشعر بذاتك مع غفلتك عن جميع الاعضاء فهى مباينة للكل لانك دائم الذكر لها حين نسيت الكل وكيف يعقل الشيء وتنسى أجزاؤه فليس شيء من هذه الاعضاء بجزء لك

﴿ وأيضاً ﴾ تقول أنت تشير الى مخاطبك بذلك وتشير الى ذاتك بأنا وتفرد أنا نيتك عن جميع ما فى البدن وتشير الى الغائب بهو وتخيله منفرداً عنك * ولا يمكنك أن تفرد ذاتك عن ذاتك وتشير الى نفسك بهو

﴿ تنبيه ﴾ قال الغزالى (فان قيل) لم لا ترى النفس فان فى رؤيتها ما يدل على صحة وجودها وهلا تخيلها (قلنا) هنا مسئلتان الواحدة لم لا ترى و الثانية لم لا تخيل (والجواب عن الاولى) من وجوه * الاول أن كل موجود ليس

من شرطه أن يُرى اذ صحة وجود الموجود لا تستدعى كونه مرئيا فان الاحوال اللازمة للشئ اما أن تكون ذاتية أو عرضية والوجود وشرطه من الاحوال اللازمة للشئ وكونه مرئيًا عرض له اذ يثبت وجوده مع عدم من يراه فينتج من ذلك انه يثبت الموجود ولا يبطل وجودَه عدمُ الرؤية له والدليل عليه وجود الله تعالى فى الازل لا الى نهاية ولم يُرَ حتى الآن وذلك لا يبطل وجودَه نعم يستدعى الموجود أن يثبت له ما يصحح وجوده والشئ قد يستدل عليه اما بقضايا عقلية واما بأثر يثبت بالحس فيقضى عليه وقد شاهدنا آثار النفس وعلمنا أن فى أجسادنا معنى يزيد عليها بالضرورة اذ يبقى الجسم ولا روح فيه ويكون الجنين تامًّا فى الشهر الرابع ولا روح له فوجود أنفسنا ثابت بالضرورة * الجواب الثانى أن المرئىّ يجب كونه من الرائى فى جهة وعلى مسافة ويكون قابلا للالوان اذ هى العلة للمبصرات والنفس لا تقبل الالوان من أمور تجتمع * الجواب الثالث ان المرئىّ لا بد أن يكون فى حيّز وقد قام الدليل العقلى على ان القوة العقلية لا حيّز لها فافهم (والجواب عن الثانية) ان الموجودات على ثلاث مراتب * الاولى موجودات تُعقل ولا تُرى وهى العقول فهى مدركة بالعقل لا البصر * الثانية النفوس وهى مدركة بالعقل ويجوز أن ترى * الثالثة الاجسام وهى تدرَك بالعقل وبالبصر ولا تدرِك هى أنفسها ولا غيرها فما نشاهد من العالم انما هو أجسام النفوس والعقول وحقيقةُ الملك انما هو نفسه لا جسمه كما ان حقيقة الانسان نفسه ولا يدرَك الاّ جسمه فقط فهو لا يدرك نفسه بل انقطعت العقول فى ادراك ماهية نفسه بالبصيرة فكيف بالبصر الى هنا كلامه

وصلت على كرْه اليك وربما * كرهت فراقك وهى ذات توجع

﴿اللغة﴾ (قوله وصلت) أى بلغت تقول وصلت الشئ من باب وعد ووصل اليه يصل وصولا أى بلغ ووصل بمعنى اتصل ووصل الشئ بغيره فاتصل وتوصل تلطف فى الوصول اليه (والكره) بالفتح المشقة وبالضم القهر وقيل بالفتح الاكراه وبالضم المشقة وأكرهته على الامر اكراهاً حملته عليه قهراً يقال فعلت قهراً كرها بالفتح أى اكراها ومنه قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرها فتمابل بين الضدين قال الزجاج كل ما فى القرآن من الكره بالضم فالفتح فيه جائز الا قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم وحينئذ فقول الناظم على كره بضم الكاف ويصح ان تفتح (والفراق) اختصاص بجهة عمن حقه ان يتصل به ويكون معه ذكره الحرالى (والتوجع) التألم من الوجع والوجع يقع على كل مرض والمتوجع المريض المتألم * وفى نسخة بدل قوله توجع تفجع وهو بمعناه ففى الصحاح الفجيعة الرزية وقد فجعته المصيبة أى أوجعته وتفجّع له توجّع

﴿الاعراب﴾ (وصلت) فعل وفاعله مستتر (واليك) متعلق به (وعلى كره) صفة لوقوعه بعد نكرة محضة (ورب) مكفوفة بقوله (ما) (وكرهت) فعل وفاعله مستتر (وفراقك) مفعول (وهى) مبتدا (وذات) خبر مضاف (وتوجع) مضاف اليه (والواو) فى وهى ذات للحال وصاحبها ضمير كرهت

﴿المعنى﴾ أفاد الناظم بهذا البيت مسئلتين (الاولى) ان النفس انما اتصلت بهذا الهيكل مكرهة مقهورة بمعنى أنها فاضت من المبدا الفياض عند كمال استعداد المادة فيضاناً ضرورياً يستحيل تأخره (الثانية) انها بعد اتصالها به ربما كرهت فراقه * أما كونها مكرهة فلان النفس المجردة المنزهة عن الكدورات الطبيعية لا تجانس الأبدان المادية المظلمة والمؤانسة بين الاشياء

بحسب المناسبة والملايمة ولذلك قيل الجنسية علة الضم ولا مجانسة هنا لان النفس والروحانيات من عالم الامر والبدن والجسمانيات من عالم الخلق ولا مجانسة بين النورانى والظلمانى بل هما ضدان متنافران متباينان ولكل منهما أشياء تلايمه وتكمل حاله وأشياء تنافره وتفسد حاله على عكس ماللآخر مع ان النفس حال الصدور لا تدرى ان كمالاتها العقلية تتوقف على استعمال القوى البدنية فليس تعلق النفس بالبدن الا بطريق القهر والالجاء * ولهذا قال العارف أبو الحسين بن الخراز لما قيل له بماذا عرفت الله قال بجمعه بين الضدين فسبحان فاعل العجائب مبدع الهويات ومظهر الآيات اله العالم واهب الحياة له الامر واليه الاياب تبارك الله أحسن الخالقين * وأما كونها تكره فراقه فلانها بعد تشبثها به يكون تعلقها به حينئذ غير ضعيف بحيث يسهل زواله بأدنى سبب مع بقاء المتعلق بحاله كتعلق الجسم بمكانه والا تمكنت النفس من مفارقة البدن بمجرد المشيئة من غير حاجة الى أمر آخر وليس هو أيضاً تعلقاً فى غاية القوة بحيث اذا زال التعلق بطل المتعلق مثل تعلق الاعراض والصور المادية بمحالها لما عرفت من ان النفس متجردة بذاتها غنية عما تحل فيه بل هو تعلق متوسط بين بين كتعلق الصانع بالآلات التى يحتاجها فى أفعاله المختلفة ومن ثم قالوا انه كتعلق العاشق بالمعشوق عشقاً جبلياً الهاميا فلا ينقطع مادام البدن صالحاً لان تتعلق به النفس فلذلك تحبه ولا تمله وتكره مفارقته وان طالت الصحبة لتوقف كمالاتها ولذاتها العقلية والحسية عليه فانها فى مبدا خلقتها خالية عن جميع الصفات الفاضلة فاحتاجت الى آلات تعينها على اكتساب الكمالات والى ان يكون لتلك الكمالات آلات مختلفة فيكون لها بحسب كل آلة فعل خاص حتى اذا حاولت فعلا خاصاً كالابصار مثلا

التفتت الى العين فتقوى على الابصار التام واذا حاولت السمع التفتت الى الاذن فتقوى على السمع وكذا الحال فى سائر الافعال ولو اتحدت الآلة لاختلطت الافعال ولم يحصل لها منها شئ على الكمال فاذا حصلت لها الاحساسات توصلت بها الى الادراكات الكلية ونالت حظها من العلوم والاخلاق المرضية وترقت الى لذاتها العقلية بعد احتظائها باللذات الحسية فتعلقها بالبدن على وجه التصرف والتدبير وبذلك استتبت لها الرئاسة فى المملكة الانسانية بعد ان كانت خاملة فى الملأ الاعلى وصارت عارفة بعد ان كانت ساذجة ومتحركة فيما يلايمها بعد ان كانت ساكنة فتعلقها بالجسد كتعلق العاشق بالمعشوق في القوة بل أقوى بكثير ولهذا اذا أخذ البدن فى الانحلال تهيأت للحوقها بعالمها ولذلك تجد روح الهرم المسن أسهل خروجاً من بدن لم يشرع فى التحلل لبقاء كمال عشقها له فاذا حدثت مقدمات خراب الهيكل وانحلال تركيبه حصل لها كرب وهول لم يقع لها نظيره من قبل وجهدت فى دفع المرض وجلب الصحة فيكون حرصها على تدبيره حينئذ شاغلا لها عن التهيئ لرفعها الى الملكوت الذى دنا عودها اليه * ثم ان كراهتها للفراق تارة تكون طلباً لاكتسابها به الفضائل التى هي سبب السعادة الابدية وتارة تكون حرصاً على اللذات الجسمية والشهوات البهيمية وايثار ما فى عالم الملك والشهادة على ما فى عالم الملكوت والغيب فلهذا كان أهل السعادة وأهل الشقاوة عند دنو الموت فى غاية التوجع والتفجع غالبا * وأشار الناظم بقوله ربما التى هى على الاصح للتكثير كثيراً وللتقليل قليلا الى انه يقع لبعض النفوس انها لاتكره فراق هيكلها وهم من هذبته الرياضة والمجاهدة حتى خلص من العوائق البشرية والكدورات القلبية

وغلبت روحانيته على جسمانيته فانه لا يكره فراقها بل يتمناه بل بعض الحكماء كان ينسلخ عن هيكله ثم يعود اليه * قال السهروردى قد شاهد المجردون انفسهم بانسلاخهم عن هياكلهم كهرمس وسقراط وصرح أكثرهم بأنه شاهد نفسه فى عالم النور * وحكى افلاطون انه خلع الظلمات وشاهد نفسه وحكماء الهند والفرس على هذا قاطبة قال وصاحب هذه الاسطر كان شديداً في انكار ذلك لولا أن رآى برهان ربه ومن لم يصدق فعليه بالرياضة وخدمة أهل المشاهدة فعسى يقع له نفحة بها يري النور الساطع فى عالم الجبروت والآثار القدسية فى عالم الملكوت * وحكى أفلاطون عن نفسه انه يصير فى بعض أحواله بحيث يخلع بدنه ويصير مجرداً عن الهيولى ويرى فى ذاته النور والبهاء ثم يرتقى الى العلة الالهية المحيطة بالكل فيصير كأنه معلق بها ويرى النور العظيم فى الموضع الشاهق اه فمن هذا حاله لا يلتفت الى فراق روحه لبدنه

﴿ تنبيهان ﴾

﴿ التنبيه الاول ﴾ قال الناظم في كتاب زيارة القبور تعلق النفس بالبدن عظيم جداً حتى انها بعد المفارقة تشتاق وتلتفت الى الاجزاء البدنية المدفونة فاذا زار انسان قبر آخر وتغاضى عن العلائق الجسمانية والعوائق الطبيعية توجهت نفسه الى العالم العقلى فتواجه نفسه نفس الميت ويحصل بينهما المقابلة كما فى المرآتين فيرتسم فيها صورة عقلية بطريق الانعكاس ويحصل لها بذلك كمال اه * وقد ذكر الغزالى نحو ذلك مع زيادة بسط وتحقيق فقال المقصود من زيارة الانبياء والاولياء والائمة الاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواحهم والعبارة عن هذا الامداد الشفاعة وهذا يحصل من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والامداد من ذلك الجانب ولزيارة

المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين أما الاستمداد فبانصراف همة صاحب الحاجة عن أموره العادية باستيلاء ذكر المزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة فى ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أوالمزور حتى تمد روح المزور الطيبة ذلك الزائر بما يستمد منها ومن أقبل فى الدنيا بكليته وهمته على انسان فى دار الدنيا فان ذلك الانسان يحس باقبال ذلك المقبل عليه لخبره بذلك فمن لم يكن في هذا العالم فهو أولى بالتنبيه وهو مهيأ لذلك التنبيه فان اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم على بعض أحوال العالم ممكن كما يطلع من هو فى المنام على أحوال من هو فى الآخرة أهو مثاب أم معاقب فان النوم صنو الموت وأخوه فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين في حال اليقظة لها فكذا من وصل الى دار الآخرة ومات موتاً حقيقياً كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى * فاما كلية أحوال هذا العالم في جميع الاوقات فلم تكن مندرجة في سلك معرفتهم كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة في معرفتنا في منامنا عند الرؤيا* ولايجاد المعارف معينات ومخصصات منها همة صاحب الحاجة وهي استيلاء ذكر صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب الحاجة وكما تؤثر مشاهدة صورة الحي في حضور ذكره وخطور نفسه بالبال فكذا تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه فان أثر ذلك الميت في النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ومن ظن انه قادر على أن يحضر في نفسه ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن خطأ فان للمشاهدة أثراً بيناً ليس للغيبة مثله * ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه

الاستعانة أيضاً جزافاً ولا تخلو من أثر ما كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام من صلى علىّ مرة صليت عليه عشرا ومن زارنى حلت له شفاعتى فالتقرب بقالبه الذى هو أخص الخواص به وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذى هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل والتقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته وبماله مناسبة اليه يوجب التقرب اليه ومقتض لشفاعته* فانه لا فرق عند الانبياء والاولياء فى كونهم فى دار الدنيا وكونهم فى دار الآخرة الا فى طريق المعرفة فان آلة المعرفة فى دار الدنيا الحواس الظاهرة وفى العقبى آلة بها يعرف الغيب اما فى صورة مثال واما على سبيل التصريح وأما الاحوال الاخر فى التقرب والقرب والشفاعة فلا تتغير والركن الاعظم فى هذا الباب الامداد والاهتمام من جهة الممد وان لم يشعر صاحب الوسيلة بهذا المدد فانه لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سوطه أو عضادته على قبر عاص أو مذنب لنجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان فى دار انسان أو بلد لا يصيب سكانها بلاء وان لم يشعر بها صاحب الدار وساكن البلد فان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى العقبى مصروف الى ماهو له منسوب ودفع المكاره والامراض والعقوبات مفوض من جهة الله تعالى الى الملائكة وكل ملك حريص على اسعاف ماحرص النبي صلوات الله عليه بهمته اليه عن غيره كما كان فى حال حياته فان تقرب الملائكة بروحه بعد موته أزيد من تقربهم بها فى حال حياته الى هنا كلامه

ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول قد علم مما تقرر آنفاً ان تعلق النفس بالبدن شديد وبه يعرف ضعف ما ذهب اليه الشارح من انها انما تكره

فراقه أذا لم تحصل السعادة لاشعاره بانها اذا حصلت كمالاتها لا تكره مفارقته لكن تحصيل جميع الكمالات غير ممكن فى الدنيا فهى كيف ما كان تكره فراقه لكن هذا غالبي كما تقدم * وقول الشارح انما تكره المفارقة لانسها باللذات الحسية من المآكل والمشارب وبلوغ المقاصد والمآرب وتَرَأسها على الحواس وبمثها للجنود والحراس فحصل لها بذلك هوًى للجسمانيات * رد بأنه لا يناسب القواعد العقلية لما تقرر فى الاصول الحكمية من ان أنس النفس انما هو بالامور العقلية واما باللذات الحسية من حيث ذاتها فلا لانه انما يحصل لغلبتها على العقل كما فى البله ومن غابت عليه القوى الشهوية والغضبية والفكرية حتى استغرقت نفسه فى اللذات الحسية

﴿ التنبيه الثانى ﴾ قال الامام الرازى فى الاسرار حكمة خلق الانسان للعلماء فيها طريقتان اجمالية وتفصيلية (وقبل الخوض في بيان ذلك نبين معنى الحكمة فنقول

﴿ الحكمة ﴾

عند الماتريدية بمعنى اتقان العمل اى خلق كل شىء على ماهو الاولى به ووضعه فى محله اللائق به صفة أزلية لله تعالى ومن هنا قالوا أفعاله تعالى لا تخلو عن حكمة بمعنى ماله عاقبة حميدة وضدها السفه (وذهب الاشعرية الى أن الحكمة بالمعنى الاول ليست صفة أزلية لله تعالى لانها تؤل الى كونها صفة فعل وصفات الافعال عندهم حادثة وفسروا الحكمة اللازمة لافعاله تعالى بوقوع الشىء على قصد فاعله وضدها السفه (وعلى هذا الاختلاف ينبنى الاختلاف فى تعليل قوله تعالى لا يسأل عما يفعل) فعند الماتريدية لانه حكيم بمعنى انه يفعل ماله عاقبة حميدة وان كنا نجهل حمد عاقبة بعض أفعاله

وعند الاشعرية لأنه المالك المطلق والمالك المطلق يفعل كيف يشاء ولا يُسأل عما يفعل * ولكل من الفريقين وجهة * فالماتريدية على قدم روح الله عيسى عليه السلام حيث قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم لم يمدحه على التعذيب ومدحه على المغفرة حيث ان الحكمة للعزيز القادر تقتضى المغفرة لأولئك المذنبين ووجهه انّ معاقبة المذنب انما هى لردعه عن العود لمثل ذلك الذنب أو لزجر غيره عن الوقوع في مثله أو للتشفى من المذنب وفى الآخرة لا يتأتى عود المذنب لذنبه ولا اقتراف غيره مثله ولا فائدة للبارى تعالى في تعذيب مَن خلقهم ضعافا وصرح بذلك حيث قال وخلق الانسان ضعيفاً ووضع فيهم الشهوة وجعلها غالبة على عقولهم فضلا عن كونه قدّر ذلك عليهم ازلا * والاشعرية على قدم كليم الله موسى عليه السلام حيث قال ان هى الا فتنتك ولم يردّ البارى عليه واذ قد وضح معنى الحكمة فالمراد بها هنا ماله عاقبة حميدة ولنعد لبيان الطريقتين فى حكمة خلق الانسان فنقول

﴿ الطريقة الاجمالية فى حكمة خلق الانسان ﴾

هى المذكورة فى قوله تعالى للملائكة انى أعلم مالا تعلمون وتقريرها انه تعالى قادر على جميع المقدورات منزه عن كل الحاجات عالم بكل معلوم فكان عالما بما ينبغي فعله وما ينبغي تركه فكل ما يفعله حكمة وصواب وانه منزه عن فعل العبث فله في خلق البشر حكمة بالغة واسرار شريفة لم يكشف تفصيلها للبشر فنؤمن بذلك اجمالا ونترك الخوض فى تفصيله

﴿ الطريقة التفصيلة فى حكمة خلق الانسان ﴾

وفيها وجهان (الاول) ان المخلوقات اقسام ماله عقل ولا شهوة له وهم

الملائكة وما له شهوة ولا عقل له وهو كالحيوان غير الانسان وماله شهوة وعقل وهو الانسان فان رجحت شهوته على عقله التحق بالبهائم بل كان أضل وان رجح عقله عليها التحق بالملائكة وما لا عقل له ولا شهوة وهو الجماد *ثم انه تعالى كان فى العهد الأقدم والزمان الاسبق خلق الاقسام الثلاثة وبقي الرابع فاقتضت قدرته ومشيئته الكاملة خلقه كيلا يبقى شئ من الأقسام الممكنة محروماً من جود ايجاده ونعمة ابداعه فعند ذلك قال للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة الآية فقالت الملائكة اذا جمعت فيه بين الشهوة والغضب والفكر جاءت المنازعة فتولد الفساد من الشهوة وسفك الدم من الغضب والجربزة والخداع والمكر من الفكر لدى الافراط فيها فقال مدبر العالم انى أعلم مالا تعلمون وان كان القتل والفساد والخداع يحصل كثيراً لكن الأكثر عدمه وحصول العبودية والتذلل خير كثير وترك الخير الكثير لاجل شر قليل شر كثير فعدم الترك أى جعل الخليفة في الارض هو اللائق بحكمتى (الثانى) المخلوقات ثلاثة أقسام * اما أرواح قدسية نورانية بلا جسد وهم الملائكة ولذلك سماهم الله فى القرآن أرواحاً وأيدناه بروح القدس نزل به الروح الأمين * واما اجساد بلا أرواح وهى المعدن والنبات والحيوان ولا يقال للحيوان روح لان مرادنا بالروح الروح اللطيف التي تقوى على ادراك المعقولات * واما مركبة من الارواح والاجساد السفلية والأزدواج بين الارواح النورانية الربانية اللطيفة والأجساد الظلمانية الكثيفة فحصل من ذلك الازدواج الانسان فجسده من عالم الخلق وروحه من عالم الأمر فلا جرم قال الله تعالى ألاَ لهُ الخلق والأمر وجعل جسده بالتسوية وروحه بالنفخ وبين تعالى ان طاعة البدن الاشتغال بالعبادات

وطاعة الروح التوكل على رب الأرض والسموات

﴿ ثم ﴾ ان دلائل كمال القدرة وجلال الحكمة فى خلق هذ النوع أتم وأكمل وبيانه من وجوه (الوجه الاول) ان الروح علوى والبدن سفلى والعلو والسفل ضدان والروح نورانى والبدن ظلمانى والنور والظلمة ضدان والروح لطيف والبدن كثيف واللطافة والكثافة ضدان والروح سماوى والبدن أرضى والسماء والارض ضدان والروح رحمانى بدليل انه لا يرغب الا فى معرفة الله ولا يفرح الا بخدمته ولا يميل الا الى محبته ولا يبتهج الا بمطالعة أنوار جلاله ولا يطمئن الا بذكره ولا يستقر الا على عتبة كبرياء قدسه والبدن شهواني شيطانى لا يغتذى الا بدردى العالم الجسمانى ولا يفرح ولا يقوي الا بالانغماس في الشهوانيات والظلمانيات فحصل بين الروح والجسد منافرة عظيمة ومباينة تامة فالجمع بينهما يدل على كمال قدرته (الوجه الثانى) ان الشوق الى الله تعالى مقام شريف وفيه لذة عجيبة وهذا المقام غير حاصل للبشر لانّ الشوق لا يتصور الا الى شيء يُدرك من وجه دون وجه ومالا يدرك أصلا لا يشتاق اليه فانّ من لم ير شخصاً ولم يسمع بوصف كماله لا يشتاق اليه ﴿ والشوق الى المحبوب ﴾ على وجهين * الأول انه اذا رآه ثم غاب عنه بقى فى خياله اثر تلك الصورة المحسوسة واشتاق الى انتقال ذلك الأثر من عالم الخيال الى عالم الحس * الثانى انه يرى وجه محبوبه ولا يرى بقية محاسنه فيشتاق الى كشف مالم يره وهذان الوجهان غير متصورين فى حق الملائكة لان ذلك انما يمكن اذا أدرك ثم غاب وعرفان الملائكة حاصل لهم أبداً لا يتبدل لا بالغفلة ولا بالغيبة لعدمهما فاحوالهم باقية ومعارفهم دائمة وهم محفوظون عن تغيرات الاحوال وتبدلات المعارف بخلاف الانسان فان الذى يتجلى

للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح والجلاء لكنه مشوب بشوائب الخيالات وهى مكدرة للمعارف وانما تمام التجلى فى الآخرة حيث تزول الخيالات فهذ أحد نوعى الشوق الممثل له برؤية المحبوب ثم غيابه عن المحب * واما القسم الثانى الممثل له برؤية وجه المحبوب دون بقية محاسنه فهو المعارف الالهية فانها لانهاية لها فاذا رأى بعضها واشتاق لرؤية مابقى يتعذر حصول ذلك له لانها لاتنكشف لكل عبد ولو ان العارف خلق أول وقت حدوث العالم ثم سار باسرع سير فى درجات المعارف الالهية بل طار حول سرادق الجلال اشد طيران الى آخر وقت يتخيله الخيال ويستحضره العقل كان الحاصل من طيرانه وسيره متناهياً ويكون مالم يصل اليه غير متناه واذا كان كذلك فالقسم الاول يزول فى الآخرة وأما القسم الثانى من الشوق الى الله تعالى فلا يزول البتة بل كلما كان السير أكمل وأكثر كان الشوق أعظم * وحينئذ فكل من بقى على حالة واحدة فان كانت تلك الحالة موجبة للذة ثم بقيت فعند استمراها لاتبقى لذة وكذا ان كان مؤلما لا يبقى مؤلما فاللذة والالم لا يحصلان الا عند الانتقال من أحد الجانبين الى الآخر * مثاله من المحسوس ان الملوك ونحوهم المتنعمين المتوسعين فى أكل الاشياء اللذيذة لا يلتذون بها وكذا الفقير الذي لايأكل الا الخشن الخبيث ولم يأكل طيباً لا يتألم به وأما الذي يأكل غالباً الخشن واتفق له انه أكل طيباً فانه يلتذ به للغاية وبعكسه الذى يأكل طيباً غالباً واتفق له أكل الخشن فانه يتألم به * اذا عرفت هذا فنقول الملائكة المقربون وان كانت درجاتهم فى العرفان عالية لكنها باقية مستمرة فهم كالملوك المتنعمين وان كانوا مواظبين على الاغتذاء بانوار الجلال والاستنشاق من نسيم روح الله لكن لم يبق لهم انتقال عن هذه الدرجة وما وقعوا فى

ظلم المعاصى وانكشاف ظلمات الانوار * والحيوان حاله كالفقراء المواظبين على الصبر أو الجوع والعرى فلا يكون لهم ألم مما هم فيه * وأما الانسان فتارة يقع فى ظلمات الاجسام وتارة يخلص منها الى أنوار عالم القدس وسبحات سرادق الجلال فينتقل تارة من الشدة الى الرخاء وعكسه فاذا انتقل من الرخاء الى الشدة ومن الابتلاء الى النعمة عظم التذاذه فيحصل هناك من اللذات والسعادات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولما كانت أسباب هذه اللذة الغيبة بعد الحضور والحضور بعد الغيبة متعاقبة على الارواح البشرية فى الدنيا واللذة اذا حصلت بحيث يكون قبلها فقدان وبعدها توقع حرمان كان الالتذاذ بها اشد وأكمل فهذا النوع من السعادة الحاصل للانسان غير حاصل للملائكة المقربين ولا للحيوانات أجمعين (الوجه الثالث) ان بخلق الملائكة ظهور القدرة والحكمة لان كمال قوتهم يدل على كمال قدرة خالقهم وكمال عصمتهم يدل على كمال قدس خالقهم * وأما بخلق البشر فظهر كمال الوجود وكمال الرحمة لانه لا مناسبة بين التراب وبين جلال رب الارباب ثم انه برحمته وكرمه جعله مركز المحبة ومعدن المعرفة يحبهم ويحبونه ولانه مع كثرة معاصيه أظهر منه انواعاً من العجائب فاودع فى قلبه ذوق عرفان جلاله واجري على لسانه ذكر توحيده وجعل عينيه محلا لابصار دلائله وأذنيه محلا لسماع كلامه فالملائكة بهم قد ظهرت القدرة والحكمة والبشر بهم قد ظهر الوجود والرحمة (الوجه الرابع) ان الملائكة خلقوا من النور اما آثار التركيب فى البشر فاكثر لانه خلق الانسان من جوهرين الروح والبدن واظهره من اثنين الأم والأب وركبه من منى ودم وجعل له مطيتين الليل والنهار وغذاه بغذاءين الطعام والشراب وأعد له دارين

الجنة والنار كل ذلك ليتحقق صدقُ ومن كل شئ خلقنا زوجين (الوجه الخامس) ان العبد يعرف ربه بالقدس والعظمة وصفات الجلال والاكرام مع انه أبعد الاشياء مشابهة له ومشا كلة ثم انه لايعلم روحه ونفسه مع انه هو كما قال تعالى قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ليعلم العبد أن كل ذلك بسبب مدد التوفيق والارشاد لابحسب الجد والاجتهاد

﴿ واعلم ﴾ ان المخلوقات ثلاثة أقسام (الأول) كملة لا يتطرق اليهم نقصان وهم أرباب العالم العلوى أجسادهم السموات وأراحهم الملائكة (الثانى) ناقصة لا تتطرق اليها الكمالات وهي الحيوان والمعدن والنبات (والثالث) مايكونون تارة كاملين وتارة ناقصين * فاذا صاروا فى حد الكمال كانوا حول العرش حافين مع الملائكة المقربين فى حضرة رب العالمين معتكفين على عتبة عزّ الله مواظبين على ذكر جلاله مستغرقين في محبته متفكرين فى المعارج اليه متوكلين على رحمته مشتغلين بخدمته محترقين بنور عظمته * واذا صاروا فى حد النقصان ينزلون الى مقام الشهوة والغضب والفكر مع الافراط فيها * ففى مقام الشهوة تارة يكونون كالخنزير أجيع ثم أرسل على النجاسات وتارة كالذباب الذى كلما ذبّ آب الى القاذورات * وفى الغضب تارة كالكلب العقور وأخري كالجمل الصؤول وتارة كالنار المحرقة والبحار المغرقة * وفى الفكر تارة يكونون كالثعلب فى المكر والخداع والمراوغة وتارة كالذئب في الختل فالانسان مع كونه شخصاً واحداً يصدق عليه انه ملك نوراني أو شيطان ظلمانى وخنزير حريص وجمل صؤول وكلب نابح وثعلب مراوغ وذئب خبيث * ولا شك ان تركيب شخص واحد تظهر منه هذه الآثار المتناقضة والأحوال المتباينة أدل على كمال القدرة وأظهر فى اظهار الحكمة

فلذلك قال تعالى انى اعلم ما لا تعلمون

﴿ ثم ان ﴾ الانسان الموصوف بهذه الصفات بعث الى هذه الدنيا ليكون مسافراً قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه الناس سَفْرٌ والدنيا دار ممر لا مقر ويظن انها مبدأ سفره والآخرة مقصده وسنوه منازله وشهوره فراسخه وايامه أميا له وانفاسه تسير بعمره سير السفينة براكبيها وقد دعى الى دار السلام وهى أشرف البقاع وأعز المواضع لكن الطريق اليها مظلم جداً فهو برحمة الله يُهدى اليه وبفضله يرشد والله تعالى بكرمه يستميل المسيء اليه وبجوده يعفو عن المذنبين فلهذا المعنى قال انى أعلم مالا تعلمون فهذا تمام البيان فى حكمة خلق الانسان

انفت وما أنست فلما واصلت * ألفت مجاورة الخراب البلقع

﴿ اللغة ﴾ (قوله أنفت) أي استنكفت وتعاظمت من أنف من الشيء أنفاً من باب تعب والاسم الأنفة بفتحتين كقصبة وهي الاستكبار وأنف عنه تنزه عنه (والانس) بالضم ضد الوحشه تقول انست به انساً من باب علم وفى لغة من باب ضرب واستانست به وتآنست به اذا سكن القلب اليه ولم ينفر منه (والمواصلة) ضد المهاجرة تقول واصلته مواصلة ووصالا (والألفة) بالضم اسم من الائتلاف وهو الالتئام والاجتماع (والمجاورة) المساكنة والجار والمجاور الملاصق فى المسكن والاسم الجوار بالضم وقد يكسر والجار الحليف أيضاً (والخراب) ضد العمار تقول خرب المنزل يخرب فهو خراب ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال أخربته وخربته واخربوا البلاد وخربوها

﴿ الاعراب ﴾ (قوله انفت فعل والفاعل مستتر (وما) نافية (وانست)

فعل والفاعل مستتر (فلما) حرف وجود لوجود (واصلت) فعل وفاعله مستتر (الفت) فعل وفاعله مستتر (وقوله مجاورة) مفعول وهو مضاف (والخراب) مضاف اليه وهو مضاف أيضاً (والبلقع) مضاف اليه

﴿ المعنى ﴾ (قوله أنفت الى آخره) يريد أنها لما هبطت الى هذا الهيكل أعرضت عنه احتقارا له وصلفاوتيهاً عليه لكونها من الموجودات الشريفة العاليه التى لاتقبل الفناء ولا تمازج الظلمات فكيف تتآلف مع من يورثها خساسة المقام والصفات ويخرجها الي الوقوع فى الآفات أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك حامل العذرة يتصل الغائط بيده كل يوم مرةأومرتين ويشاهدالخبائث والقاذورات منفصلةمنه بالعين فالمناسبة من أين وما وقع بعد هذا من الائتلاف فلعوارض مرت الاشارةاليها فبالحرى انها لم تأنس به بل نفرت واستكبرت فتجدها متزلزلة لا يلايمها القرار على خلاف الطبع ولا الاستقرار على غير الوضع واستمرت المنافرة بينهما برهة حتى عرفت انه آلة لها فى تحصيل كمالاتها وتأملت مواقع التركيب ونظرت الى هذا الهيكل العجيب الذى هو مع كونه الجرم الاصغر احتوى على ما اشتمل عليه العالم الاكبر واشبهه ذاتا ووصفاً فعند ذلك أنست به لما فقهت ما بينه وبين العالم العلوى الذى أهبطت منه من المناسبة فتنازلت الى التشبه به والتحيل على كيفية الاقامة معه فلما بدا التمازج وقامت شهود حصول المراد ووضح الطريق وقام الدليل على التحقيق تمكنت منه واطمانت اليه آخذة ما قدّر لها بحسب ما وافق من الطالع والطوالع والاتصالات الفلكية والتشكلات الكوكبية الحادثة بخلق الله تعالى وتقديره ولذلك قويت العلاقة واشتدت الملازمة مع علمها بأنها انما هى مجاورة للخراب البلقع لأيلولة البدن الى الفناء

على كل حال وانحلال الأجزاء وتفرق الاوصال

وعلم مما تقرر أن المراد بالخراب البلقع البدن سماه به لخلوه عن التصورات أو لكونه قابلا للفساد والبطلان فعبر بكونه خراباً عما يؤول اليه أمره فهو مجاز مرسل علاقته الاول فسقط ما قيل وصف البدن بالخراب حال تعلق النفس به غير قويم فانه فى هذه الحالة ليس على هذه الصفة

﴿ واعلم ﴾ أن الناظم سمى اتصال النفس بالبدن مجاورة وهو قول متعقب بالرد * فقد قال الامام الرازى فى المطالب اختلف فى كيفية اتصال النفس بالبدن فقال قوم مجاورة وردّ بانه يلزم انفكاكها كل وقت اختياراً والواقع خلافه * وقال قوم اتصالها كالنار فى الشمعة وردّ بانه يلزم عليه أنه لو نفخ انسان فى وجه آخر افترقا كما يكون عند ارادتنا اطفاء الشمعة * وقال سقراط كسريان الدهن فى الزيتون والسمسم * وصرح حجة الاسلام كالحكماء بانه جوهر مدبر للبدن لكن لا داخل البدن ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه لأن مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال الجسمية والتحيز وقد انتفيا وانما يتعلق من البدن أولا بالروح القلبي المتكون في جوفه الأيسر من بخار الغذاء ولطيفه فان القلب له تجويف فى جانبه الايسر يجذب اليه لطيف الدم فيبخره بحرارته المفرطة فذلك البخار هو المسمى بالروح عند الاطباء وعُرف كونه أولَ متعلَّق النفس بأن شلل الاعضاء يبطل قوى الحس والحركة مما وراء موضع الشلل ولا يبطلها مما يلى جهة الدماغ

وأظنها نسيت عهوداً بالحمى * ومنازلا بفراقها لم تقنع

﴿ اللغة ﴾ (الظن) اسم لما يحصل عن امارة مرجحة فان قويت جداً أدت الي العلم وان ضعفت جداً لم تجاوز حدّ الوهم (والنسيان) ترك الشئ

عن ذهول وغفلة (والعهد) والمعاهدة المحالفة والمعاقدة (والحمى) بالكسر المحمى الذى لايقربه أحد احتراماً لمالكه (والمقنع) والقناعة الرضى بالقليل

﴿الاعراب﴾ (قوله أظنها) فعل وفاعله مستتر (وها) مفعول أول (ونسيت) فعل وفاعله مستتر (وعهودا) مفعوله وجملة الفعل والفاعل من نسيت فى محل نصب مفعول أظن الثانى (وقوله) بالحمى متعلق بعهوداً (ومنازلا) معطوف على عهودا (بفراقها) متعلق بمنازل (لم تقنع) جازم ومجزوم

﴿المعنى﴾ أخذ يتعجب من شدة اتصالها وركونها لغير جنسها وانتسابها بالكنه والكلية الى غير الملايم المباين فى زعمها لطبعها واشتداد محبتها له وعملها على مقتضاه فما وجدَ لذلك محملا غير نسيانها لتلك العهود أي المواثيق المأخوذة عليها بقوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية وقوله تعالى الم أعهد اليكم يابنى آدم الآية ونسيت منازل أرباب حضرة القدس واخلاق أبناء الجنس واخوان الصفا * وقيل معنى نسيانها لعالمها المناسب لجوهرها الذي هو العالم العقلى اعراضها عنه وعدم التفاتها نحوه وتوجهها اليه * وقوله بفراقها لم تقنع أى انها عند تعلقها بالبدن لم تقتصر على نسيانها لعالمها واعراضها عنه بل زادت على ذلك النسيان عشقها للمادة المركبة الآيلة للفناء وشغفها بها وذلك يتعجب منه * وقال بعضهم معنى البيت عجب كيف رضيت بالادنى عن الاعلى واعتاضته وأظنها لم ترض بذلك وهى على الصفة التى كانت عليها من الفياض الاقدس بل تغير ادراكها من ظلمات التركيب والشغل بتدبير الهيكل فلذلك نسيت ما كانت فيه من الاشرف الارفع والنور الابدي المستحيل عليه الفناء مع ما بينهما من التضاد لكن استيلاء العشق وشدة الاختلاط تصنع العجائب ولهذا قال المصطفى أبغض اله عُبِد من دون الله الهوى ولو أنها تذكرت

العهد المأخوذ عليها يوم ألست بربكم والحمى المتموج بتلك الانوار لما كان ذلك لكن ملاقاة الكثائف ومجاورتها غيرت ادراكها حتى فضلت ما هو آيل الى الفساد على ما هو بالعكس ويا ليتها اكتفت بذلك أى نسيانها العهود بل اتخذت ما اتخذته مألفاً ولم تقنع بفراق تلك العهود والمنازل وكراسى الاشعة ومزايا الخواطر ولطائف الروحانيات المعبر عنها فى لسان الشرع بالملائكة ﴿ تنبيه ﴾ هذه البيت وما قبله وما بعده من نحو قوله تبكى الخ صريح أو كالصريح فى ان النفس الناطقة كانت موجودة قبل الاتصال بهذا البدن متعلقة بالمجردات لان تذكرها عهوداً بالحمى والمنازل التى لم تقنع بفراقها ونحو ذلك كالصريح فيه لكن لا يلزم من ذلك كونها قديمة كما وهمه بعض الشراح زاعماً انه يناقض ماعليه الناظم مخالفاً لافلاطون من حدوثها وهذه المسألة من المهمات التى يتعين بيانها فنقول

اتفق المليون على ان النفس الناطقة حادثة اذ لا قديم عندهم الا الله وصفاته عند من أثبتها زائدة على الذات * ثم اختلفوا في انها هل حدثت مع حدوث البدن أو قبله * فقالت طائفة معه لقوله تعالى بعد تعداد أطوار البدن ثم أنشأناه خلقاً آخر والمراد بذلك الانشاء افاضة النفس على البدن * وقال بعضهم بل قبله لقوله عليه السلام فيما رواه الديلمى وغيره خلق الله الأرواح قبل الأجسام بالفى عام وغاية هذه الادلة الظن دون اليقين المطلوب في هذا الفن أما الآية فلا مكان ان يريد بقوله ثم أنشأناه جعل النفس متعلقة به وانما يلزم من ذلك الجعل حدوث تعلقها لا حدوث ذاتها واما الحديث فلانه خبر واحد ومعارض الآية وهي مقطوعة المتن مظنونة الدلالة والحديث بالعكس فلكل رجحان من وجه فيتقاومان * واما الحكماء فاختلفوا فى حدوثها فقال أفلاطون انها

قديمة لان الحادث لا يكون أبديا ولا عن المحل غنيا فلو لم تكن الناطقة أزلية لم تكن أبدية * والجواب المنع * وقال ارسطو ومن تبعه انها حادثة قال الغزلى فى المعراج وهو مذهب ابن سينا وكونها حادثة لوجوه (الأول) انها لو كانت قديمة لكانت قبل التعلق معطّلة ولا معطل فى الوجود بخلاف ما بعد المفارقة فانها لا يقال لها معطلة لانها امافى رَوْح وريحان أوعذاب ونيران (الثاني) انه اذا حدث للبدن مزاجه الخاص فاضت عليه نفس تَنَاسب استعداده لعموم الفيض والمشروط بالحادث حادث (فان قيل) فيلزم انتفاؤها بانتفائه (قلت) نعم هو شرط الحدوث لا الوجود وانما وجدت بعد فنائه لما قدّمنا من استيفائها الجزا النعيم أو العذاب * واعترض على استلزام قدميتها كونها قبل التعلق معطلة بان المترصد لاكتساب الكمالات لا يكون معطلا وبأن المزاج شرط التعلق لا الحدوث ولم يجب عنه (الثالث وهو العمدة أنها بعد التعلق متعددة قطعا فقبله ان كانت واحدة فالتعدد بعد الوحدة مناف للتجرد المستلزم للقدم أو مستلزم للمطلوب وهو الحدوث وان كانت متعددة فتمايزها بالماهية ولوازمها ينافى التماثل وبما يحل فيها كالشعور بهويتها مثلا يستلزم الدور وبالعوارض المادية بأن تتعاقب الابدان لا عن بداية تستلزم التناسخ وقدم الجسم وهو باطل وأما بعد المفارقة فالامتياز باق بما حصل لكل من الخاص وأقلها الشعور بهويتها (قال ارسطو وكل حادث لابد له من استناد الى المبدا القديم الواجب دفعا للدور والتسلسل ومن شرط حادث لئلا يلزم تخلف المعلول عن علته التامه فلحدوث النفس من المبدا الفياض شرط هو حدوث البدن لأنه القابل المستعد لتدبيرها وتصرفها فاذا حدث البدن فاض عليه نفس من المبدا الفياض ضرورة عموم الفيض ووجود القابل المستعد وبه أبطل التناسخ لانه لو أحدث بدن وتعلقت به

نفس متناسخ وأفيض عليه نفس أخرى حدثت الآن لما تقرر من حصول العلة المؤثرة بشرطها فيكون للبدن الواحد نفسان وهو باطل بالضرورة فان كل أحد يجد أن نفسه واحدة ويقطع بأنه ليس معها فى هذا البدن مدبر آخر ولا لها تدبير فى بدن آخر فهما على التعادل ليس لبدن نفسان ولا لنفس بدنان لا معاً ولا على البدل

(واعترض) فى المواقف ما ذكره ارسطو بانه دور صريح لانه بين أن حدوث النفس يلزمه التناسخ على تقدير قدمها وابطاله ثم بين بطلان التناسخ بحدوث النفس * وانما يصح له ذلك لو بين احدهما بطريق آخر مثل ما يقال فى ابطال التناسخ بانه يلزم أن يتذكر شيأ من أحوال البدن الاول لان استعداد الأبدان للنفوس وتكونها على وتيرة واحدة فانه كلما استعد بدن حدث نفس بخلاف مفارقة النفوس مع حدوث الابدان اذ قد يتفق وباء أو طاعون أو حادثة مستأصلة كطوفان أو قتل عام يهلك فيها من النفوس دفعة ما يعلم بالضرورة انه لم يحدث فى ذلك الزمان بخلاف العادة ذلك المبلغ من الابدان كما نقل انه وقع حرب بارض نوقان فقتل فى يوم واحد مائتا الف من الجانبين ومعلوم انه لم يحدث فى ذلك اليوم ابدان بهذا العدد فى جوانب العالم تتعلق بها تلك النفوس المفارقة لابدانها فلوكان تعلق النفوس على طريق التناسخ لزم تعطل بعضها إلى أن يحدث بدن يتعلق به * وليس شيء منهما يصلح للتعويل عليه اذ لا نسلم لزوم التذكر لأحوالها فى البدن المتقدم عنه لجواز كونه مشروطاً بالتعلق به * على انه نقل عن بعضهم انه قال انى لأتذكر كونى فى صورة جمل * ولا نسلم أن عدد أبدان الحيوانات الصغيرة والكبيرة فى البحار والبرارى لا تساوى عدد تلك النفوس المفارقة

﴿ وعلى أصل الدليل الذى أبطل به التناسخ اعتراضات مثل ما يقال لا نسلم ان كل حادث لا بد له من شرط حادث فان الفاعل المختار له أن يخصص الحوادث باوقاتها من غير أن يكون هناك داع وهذا لا يستلزم التخلف عن العلة * سلمناه لكن لا نسلم ان شرط حدوث النفس هو البدن ولم لا يجوز أن يكون له شرط غيره * سلمناه لكن لا نسلم انه اذا حدث بدن وجب أن يفاض عليه نفس انما يجب ذلك اذا لم تتعلق به نفس مستنسخة * قال فى المقاصد والذى ثبت من مسخ بعض الكفرة قردة وخنازير ومن ردّ النفوس الى الابدان المحشورة فليس هو من المتنازع فى شئ * وما يحكيه بعضهم من أن النفوس الكاملة تتصل بعالم العقول والمتوسطة باجرام سماوية أو أشباح مثالية والناقصة بابدان حيوانات تناسبها فيما اكتسبت من الاخلاق وتمكنت فيها من النيات متدرّجة فى ذلك الى أن تتخلص من الظلمات بما لقيت من أنواع العذاب والسكرات فالنصوص القاطعة فى باب المعاد تكذبه * ثم انهم يصرفون اليه بعض الآيات كقوله تعالى نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشأ كم فيما لا تعلمون مع ان هذه الآية اختلف المفسرون فى أن مدلولها كائن فى الدنيا أو سوف يكون يوم القيامة على انها من الآيات الواردة فى أصحاب النار وزعمهم انها تشير الى التناسخ افتراء على الله والله أعلم ﴿ تمة ﴾ لم يلتزم الناظم فى هذه القصيدة الترتيب وكانت قضيته أن يذكر أولا كيفية المفارقة للعالم العلوى ثم الوصول للعالم السفلى ثم اطوار الاقامة مقدما الأهم منها فالاهم فيذكر أولا نظرها فى نشؤ البدن الى أن يستقل بغاياته ثم اكتسابها ما به رفعتها فى علّيّين ثم عودها الى اصلاحه فى الطور الثانى كما جرى على نحو ذلك فى حكمة الاشراق والهداية

وغيرها

حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها * من ميم مركزها بذات الاجرع

﴿اللغة﴾ (الاتصال) ضد الانفصال (والمركز)وسط الدائرة وموضع الثبوت (وهاء) من حروف أبجدوالمرادبها مبدأ ما أضيفت اليه (والهبوط) معلوم وهو هنا بمعنى اسم المكان أى مهبطها (والاجرع)مذكر الجرعاء وهي رملة لاينبت فيها شئ ولا يستقر فيها الماء وقيل المكان الاجرع الذى أرضه مختلطة من طين ورمل وأرضه أثقل من غيرها من الاراضى وذات الاجرع أيضاً محل بوادى العقيق تهب فيه رياح لينة مزجت بما زُوّح به البيت العتيق كانت العرب تتخذه منتزهاً ومرتعاً وربما كنوا به عن المعشوق في تغزلاتهم

﴿الاعراب﴾ (حتى حرف ابتداء أو حرف غاية وجر والمغيا ما ذكر فى البيت الذى قبله من نسيانها عهوداً بالحمى وعدم قناعتها بذلك(واذا) فجائية وجوّز بعضهم كونها شرطية وجملة اتصلت على الاول فى محل جر بحتى وعلى الثاني فى محل جر باضافة اذا اليها (وقوله بهاء) جار ومجرور متعلق باتصلت مضاف (وهبوط) مضاف اليه وهبوط مضاف (والهاء) مضاف اليه وعلقت الآتى جوابه (وقوله من ميم مركزها) متعلق بمحذوف تقديره منفصلة من ميم مركزها وقوله بذات الاجرع متعلق بقوله اذا اتصلت بدل من بهاء هبوطها وجعله الشارح وصفاً لذلك المركز كما يأتى

﴿المعنى﴾ حتى اذا انفصلت من ميم مركزها أى من أعلى عالمها اذ الميم فى حروف المركز أعلاها من حيث انها مبدأ اللفظ واتصلت بهاء هبوطها بمعنى مهبطها أى مبدئه اذ الهاء مبدأ الهبوط والمراد به جسد الانسان

علقت به مع انه مؤلف من الكثيف كالرمال ولا ينشأ منه الكمال كذات الاجرع وبهذا يكون قوله ذات الاجرع استعارة تصريحية لجسد الانسان والنكتة المبالغة فى سرعة تعلقها به حيث كان فى حال اتصالها بمبدئه قبل أن تستقرأه لمنتهاه وهذا مبنى على أن قوله الآتى علقت بها ثاء الثقيل مقلوب عن علقت بثاء الثقيل لأن الذى يوصف بالتعلق فى مبدا نفخ الروح هى لا هو

﴿ وقال ﴾ ابن الكمال قوله بهاء هبوطها من ميم مركزها انما هو على منهج الاستعارة وسلوك طريق الخطابة والمراد انها اتصلت فى هبوطها بالمركز الاسفل أى البدن وسماه أسفلا لانه من العالم الاسفل وعنى بقوله بذات الاجرع المادة الارضية الكثيفة التى تعلقت بها النفس وهى البدن لان الارض الجرعاء أكثف من غيرها من الاراضى ولما كانت المادة البدنية بالقياس الى الموجودات العقلية كثيفة وصفها بكونها جرعاء لكثافتها وثقلها بالقياس الى الروحانيات

﴿ وقال ﴾ السمنانى المراد بهاء الهبوط المواد الجسمانية وبميم المركز العالم الروحانى وعبّر عن المواد الجسمانية بهاء الهبوط لانحطاط رتبتها بالقياس الى المجردات لان الهبوط فى مقابلة الصعود وعن العالم العقلى بميم المركز لانه نقطة فى وسط الدائرة وعندها تجتمع انصاف أقطار الدائرة فهى مبدأ الخطوط المجتمعة اذا اعتبر الابتداء منه ومنتهى الخطوط أيضاً اذا اعتبر الابتداء من الخطوط فكذا المجردات هى مبدأ فيضان النفس وتتصل النفس بالمجردات عند حصول ملكة الاتصال

﴿ وقال ﴾ الشارح هذا فيه رمز وأراد بالهاء فى هبوطها الهيولى وبميم مركزها المبدأ الاول المفيض الوجود عليها وكنى عن الكلمة بجزئها وهذا

شأن المعبر الموجز المفصح عن كثير الالفاظ بقليلها وعن الكثير من المعاني ببعضها المشتمل عليها المنطوى تحت مفهومها وذلك لخصوصية الهاء باسم الهيولى والميم بالمبدا ﴿ والعلل ﴾ المؤثرة بالذات عشرة والاخير هو العقل الفعال المؤثر فى عالم العناصر صوراً وفى النفوس البشرية وجوداً بحسب الاستعداد المنسوب الى الحركات الفلكية فيجب عند تمام الاستعداد افاضة النفس البشرية عنه وذلك متوقف على حدوث البدن فاذا تم استعداده أفيضت عليه نفس واحدة تدبره وهذه النفس لما كانت مجردة الجوهر عن الهيولى التي هي المادة وقائمة بنفسها فان البدن يجري منها مجري المادة ﴿ وانما ﴾ سمى المبدأ الاول مركزاً لأن المركز عبارة عن المكان المطلوب السكون فيه بالذات اما بميل نفساني كما فى النفوس الى كمالاتها التي هي مراكزها واما بميل طبيعى كما للأمور الطبيعية الى مراكزها حتي اذا وصل اليه إنقطع شوقه لديه فانقطع تحركه اليه ومراكز النفوس هي الوصول الى كمالاتها المعبر عنها بالعود الى ربها ﴿ قال ﴾ وقوله بذات الاجرع وصف لذلك المركز بطريق التجوز فكما ان ذات الاجرع عبارة عن المكان الملايم لاتصال الاحباب وتنزه الخلان فكذا المركز يجرى هذا المجري والقصد من هذا ان النفس حال استعمالها للبدن اذا شملتها العناية العالية وساقها زمام التوفيق الى التفكر فى العالم العلوي الذي منه هبوطها وما فيه من العجائب تنبهت من سنة الغفلة العارضة لها فى العالم السفلى وتذكرت أن ذلك العالم الروحاني مركزها الحقيقى الذى أهبطت منه على رغمها فاشتاقت الى المقام فى ظلال اخوانها ومنادمة خلانها وذهلت عن المألوفات العارضة السفلية وحنت بطبعها الى ممازجة الروحانية ورامت الخلاص من تلك العلائق وهمت

بقطع العائق فعند ذلك وجدت نفسها اقتنصت بالشرك الملازم وأنزلت للقفص الغير الملايم فانسد عليها ذلك الباب وهتف لها الهاتف بقوله لكل أجل كتاب فتراها صارخة باكية مأقرح الحزن أجفانها وبيض البياض أعيانها تنادي بأعلى صوتها وأطرب ألحانها تشوقاً الى وطن الخلان ودوام منادمة الاخوان

اشتاقكم حتي اذا نهض الهوي * بي نحوكم قعدت بى الأيام

الى هنا كلامه

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت * بين المعالم والطلول الخضع

﴿ اللغة ﴾ (قوله علقت) العلوق التشبث والتعوق يقال علق الشوك بالثوب علقا كعلم علما وتعلق به اذا نشب واستمسك وعلق الوحش بالجبال كطرب علوقا تعوق وأعلقت ظفري بالشيء انشبته فيه (والثقيل) ضد الخفيف وأثقله الشيء بالالف أجهده (وقوله فأصبحت) من الاستصباح أى الوضوح أو من الصبح من اخوات كان بمعني صارت لانها موضوعة لاتصاف اسمها بخبرها قبل زمن التكلم (والمعالم) جمع معلم وهو العلامة نفسها أو موضعها (والطلل) الشاخص من آثار الدار وشخص كل شيء جمعه طلول كأسد وأسود واطلال كسبب واسباب تقول حيا الله طللك واطلالك والمراد بالطلول هنا الشواخص الباقية من آثار الديار وهي مواضع الحي وآثارهم (والخضع) كركع جمع خاضع وهو الذليل يقال خضع يخضع خضوعاً ذل واستكان وأخضعه الفقر أذله

﴿ الاعراب ﴾ (قوله علقت) جواب اذا ان جعلت شرطية كما مر وخبر ان جعلت فجائية (وبها) متعلق به (وقوله ثاء) فاعل علقت وهو

مضاف (والثقيل) مضاف اليه (فأصبحت) فعل ماض وفاعلها أواسمها مستتر فيها يعود لورقاء (وبين) متعلق بمحذوف تقديره كائنة حال من ضمير أصبحت أو خبرها وهو مضاف (والمعالم) مضاف اليه (والطلول) معطوف عليه (والخضع) صفة له

﴿ المعني ﴾ هذا على سبيل الاستعارة أيضاً وأراد بثاء الثقيل المادة الجسمانية وهى البدن اذ من أوصافه انه ثقيل فانه طويل عريض عميق وعبر بقوله علقت عن ارتباطها بالبدن وما بينهما من التعلق (وأراد بالمعالم رسوم الاصول وقواعد التركيب كالعظام والغضاريف وبالطلول ما كان صلباً من اجزاء البدن كالفقرات وعظام الفخذ لقوة ذلك تشبيهاً لعالم الاجسام الذي هو محل التصرفات للنفس بالاستعمال والاستخدام بمعالم المنازل وآثار الديار وأراد بكونها خضعا أنها قابلة للفناء آيلة للبطلان والدثور بخلاف العالم العلوي المنزه عن الكون والفساد والمعني ان النفس لما تعلقت بالبدن أصبحت بين القوي البدنية الجسمانية تستخدمها ليحصل ماهو المقصود لها من ارتسام الكليات والجزئيات فيها

﴿ فائدة ﴾ للنفس أربع دُور كل دار أعظم من التى قبلها (الاولى) بطن الأم وذلك محل الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث المشيمة والرحم والبطن (الثانية) هذه الدار التى نشأت فيها واكتسبت فيها الخير والشر (الثالثة) دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم ونسبة هذه الدار اليها نسبة الدار الأولى الى هذه (الرابعة) الدار التى لادار بعدها دارالقرار الجنة أو النار والله ينقلها في هذه الدورطبقاً بعد طبق حتي يبلغها الدار التى لا يصلح لها غيرها

﴿تنبيه﴾ قد شرف الله هذا البيت الشريف أعني الهيكل الانساني وجعله نظير العالم المحيط الا كبر معنى معنى وحرفاً حرفاً حتى كأنه هو فما تفرق في العالم الا كبر تجده مجموعاً فيه من ملك وملكوت فكما ان في الا كبر ماء ملحاوعذبا وزُعاقاًومرًّا فكذلك مثله في الانسان فالملح في عينيه والزعاق في منخريه والمرّ في أذنيه والعذب في فمه وكما ان في الا كبر تراباً وماء وهواء وناراً ففي الانسان ذلك بعينه * وكما ان في الا كبر شمساً وقمراً ونجوماً ففي الاصغر الروح المضيئة للجسد كالشمس وكما ان الشمس اذا غربت أظلم العالم فالروح اذا فارقت أظلم الجسد والعقل كالقمر فكما ان القمر يستمد النور من الشمس وينقص ويزيد فالعقل تزيد قوته تارة وتنقص أخرى * ونظير الخمسة السيارة في البدن الحواس الخمس * ونظير الجبال العظام *ونظير البحار العروق * وكما ان في البحر حيتانا مضطربة ففي الانسان أعضاء مضطربة كاللسان المضطرب في الفم* وكما ان في العالم رياحاً أربعاً شمالاً وجنوباً وصبا ودبورا ففي الانسان أربع قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة * وكما ان في العالم سباعا وشياطين وبهائم ففي الانسان الافتراس وطلب القهر والغلبة والغضب والحقد والحسد والفجور والا كل والشرب والنكاح * وكما ان في العالم ملائكة بررة ففي الانسان طهارة وطاعة واستقامة * وكما ان في العالم من يظهر للابصار ومن يخفى ففي الانسان ظاهر وباطن عالم الحس وعالم القلب فظاهره ملك وباطنه ملكوت * وكما ان في العالم سماء وأرضاً ففي الانسان علو وسفل فقابل بينهما تجد النسخة الالهية صحيحة مااختل حرف منها ولا نقص معني ولم تجد له فى مقابلة الازل الا الابد فهو متناهي الطرف الآخر

﴿ واعلم ﴾ ان أول ماخلق الله القلب لانه سرير الروح ومنصته ومدرسة المعرفة ونقاوة الصفوة ومنزل المحبة ومحل العلم والفهم والادراك والنور الفائض من خطاب فاعلم انه لااله الا الله ولا يتجلى فيه الا هو والاستقرارُ المتولد من وعد ألاَ بذكر الله تطمئن القلوب لايحصل الا فيه فلما كان هو المقصود فى الثواب والعقاب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب كان سلطان البدن المخلوق اولاً ﴿ ثم بني له سبحانه منتزهاً عجيباً عالياً مشرفاً فى ارفع مكان من هذه المدنية الانسانية سماه الدماغ وجعله منشأ الحس الذي هو الواسطة بين القلب وبين العالم العلوي وجعل فيه ثلاثة بطون أعظمها البطن الاول ثم الثالث واما الثاني فهو كمنفذ بينهما كالدودة ومقدم البطن الاول يسمى (الحس المشترك) وفتح له فيه طاقات وخوخات يشرف كل منها على ملكه وهي الاذنان والعينان والانف والفم بها ادراك السمع والنظر والشم والذوق اما اللمس فهو فى سطح الجسد فهذه الحواس الخمس الظاهرة ﴿ ثم بنى له فى مقدم ذلك المنتزه خزانة سماها (الخيال) جعلها مستقر خبايا الحس المشترك وهي الصور المرتسمة فيه من المبصرات والمسموعات والمشمومات والمذوقات والملموسات وتسمى (المصورة) ايضا فاذا رأيت انسانا ثم غاب عنك ثم حضر فتعرفه نفسك بواسطة المصورة وهذه المعرفة هي (التخيل) ﴿ ومن تلك الخزانة تكون المرائى والاحلام النومية ﴿ وجعل فى مقدم البطن الثالث قوة تسمى (الواهمة) والوهمية أيضاً تدرك المعاني الجزئية المنتزعة من الصور المحسوسة كصداقة زيد وعداوة عمرو ﴿ وجعل فى مؤخر البطن الثالث قوة تسمى (الحافظة) والذاكرة ايضاً تحفظ المعانى التى تدركها الواهمة كالخزانة لها ترجع اليها النفس بعد الغفلة عنها وذلك

يسمى (التوهم) ﴿ وجعل فى البطن الثالث الذي هو كالدودة قوة تسمى (المتصرفه)تتصرف بالتركيب والتحليل فى الصور الخيالية او المعانى الجزئية الوهمية او فيهما فتسمى(المتخيلة) (فتصرفها في الصور بالتركيب كتخيل انسان رأسه رأس أسد او انسان له رأسان او أربعة ايد او جناحان او قرنان او خارج من فيه شواظ من نار او اسد وجهه وجه انسان وبالتحليل كتخيل انسان بيد واحدة او عديم الرأس (وتصرفها فى المعانى الجزئية بالتركيب كتوهم شجاعتين فى انسان انسية وملكية وخدعتين فى ضبع سبعية وجنية (وتصرفها في المعانى الجزئية بالتحليل كتجريد معنى ميت من عوارضه المادية حتى يصير كليا وتجريد معنى زيد مثلا من مشخصاته العارضة للمادة حتى يصير كليا ايضاً (وتصرفها فيهما بالتركيب كتركيب صورة شاة مع شجاعة وماء مع تحدث ومنه قول الشاعر

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ماجرى
فكأن فوق الماء وشياً ظاهراً * وكأن تحت الماء سرا مضمرا

ويسمى مااخترعته بواسطة تركيب الصور المدرك مادتها بالحس خياليا كاعلام ياقوتية على رماح زبرجدية فى قول ابى الغنائم الحمصي

وكأن محمر الشقيـــق اذا تصوب أو تصعد
اعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

ويسمى مااخترعته مما لم يكن مدركا بالحس وهميا كانياب الاغوال فى قول امرئ القيس

ايقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب اغوال

فان الغول اسم بلا مسمى وقد ركبت المتخيلة له صورة بانياب مخصوصة

وكل منهما لايدرك بالحس كقوله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين فهذه هى المشاعر العشرة فى الانسان خمسة ظاهرة وخمسة باطنة

﴿ وجعل هذا الدماغ مسكن الوزير الذي هو العقل

(مدركات العقل)

وجعله مدركا للكليات كالانسان وادراك القوة العاقلة لها هو التعقل ﴾ وكما تتصرف المتصرفة في الصور الخيالية او المعانى الجزئية وتسمى اذذاك المتخيلة كذلك تتصرف في مدركات العقل بضم بعضها الى بعض وتسمى حينئذ المفكرة كالقول الشارح في نحو الانسان حيوان ناطق وكالفكر لاستنتاج النظريات من الضروريات كالقياس (وكالجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في العطف نحو زيد كاتب وعمرو شاعر فان الجامع في المسند اليهما عقلي وهو تماثلهما لانه وان كان كل من زيد وعمرو جزئيا الا انه بالتجرد صار كليا فصار من مدركات العقل فكانه قيل انسان كاتب وشاعر (والجمع بين المشبه والمشبه به في التشبيه كقول عفيف الدين البصري

اخو العلم حيّ خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

شبه الميت العالم بالحى الخالد والحى الجاهل بالميت العديم ويلزمهما تشبيه العلم بالحياة والجهل بالموت وهو المقصود لان المقام مقام مدح العلم وذم الجهل ومن ثمة يعتبران من تشبيه المعقول بالمعقول فهو كنائى فيهما والعقل يجمع العلم والحياة لتماثلهما فى دوام النفع عند ثبوتهما ويجمع الجهل والموت فى انتفاء النفع عند ثبوتهما

﴿ تنبيهات ﴾

﴿ التنبيه الأول ﴾ الحاكم على مركبات المتخيلة هو الواهمة وحكمها في المحسوسات قد يكون صحيحاً كالحكم بحسن حسناء وقبح شوهاء وان زيداً صديقه وعمراً عدوه وفي غيرها كذب كالحكم بأن كل موجود مشار اليه

﴿ التنبيه الثاني ﴾ مما يعرف به كذب الوهم ان الوهم يساعد العقل في المقدمات المنتجة نقيض ماحكمت به الواهمة مثلاً تحكم الواهمة بالخوف من الميت مع انها توافق العقل على أن الميت جماد وكل جماد لايخاف منه فاذا وصل العقل والوهم الى النتيجة نكص الوهم وأنكرها وأثبت الخوف وانحازت اليه النفس لانها منجذبة له كما هي منجذبة الي الحس ومسخرة لهما فقد سبقا العقل اليها (فان قيل) ان المعاني الجزئية نسب منتزعة من الصور فتعقلها متوقف على تعقل صور المحسوسات فكيف تدركها الواهمة من غير ادراك الصور حتي تحكم عليها (يقال) ان ادراكها للخوف أو العداوة مثلا يتأدي بذاتها وادراكها للميت أو الذئب مثلا الذي هو صورة يتأدى بواسطة الحواس الظاهرة بواسطة الحس المشترك لان القوى الباطنة كالمرايا المتقابلة ينعكس الي كل منها ما ارتسم في الأخرى ﴿ولهذا اذا كان أحد الطرفين جزئيا غير منتزع والآخر كليا يكون الحاكم العقل كالحكم على زيد بالانسانية ولكن يكون ذلك بعد أن تجرد المتخيلة ذلك الجزئي من عوارضه حتي يصير كليا فيدركه العقل

﴿ التنبيه الثالث ﴾ المدرك للكليات والجزئيات سواء كانت صوراً أو معاني انما هو النفس لكن بواسطة هذه القوي فالاسناد الي القوي مجاز عقلي

* وشق له العين وجعل مقدار الابصار قدر عدسة ثم اظهر فى تلك العدسة صورة العالم مع اتساع اطرافه وتباعد اكنافه وجعل الحدقة مصونة بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها وجعل الاجفان سوداً ليجتمع النور المعين للابصار وجعل لتحريك الحدقة اربعاً وعشرين عضلة لو نقصت واحدة لاختل ذلك وجعل الاجفان متحركة الى الانطباق ابداً بغير اختيار الانسان لتصير الحدقة نقية صافية عن الكدورات فانها بمنزلة المرآة وهي لاتنفع الا اذا كانت فى غاية الصقالة وشق الاذنين لادراك السمع وحوّطها بالصدفة ليجتمع الصوت فترده الي الصماخ وجعل فيها انحرافاً واعوجاجاً لتطول المسافة فاذا دخلها شيء من الهوام تكثر حركته فيتنبه الانسان ويسعى فى اخراجه قبل تمكنه * وجعل العينين مقدمتين والاذنين مؤخرتين لان العين تدرك الاجسام والاعراض وهي أدلة وجود الصانع والاذن تسمع الكلام والدلائل العقلية مقدمة على السمعية * ورفع الانف فى وسط الوجه بأحسن شكل وفتح منخريه وأودعهما حاسة الشم ليستنشق الهواء البارد فيستغنى عن فتح الفم أبدا وجعل تجويفه واسعاً لينحصر الهواء فيه فينكسر برده قبل وصوله للدماغ ثم للقلب وليجلب هواء كثيراً فان النفَس لو انقطع عن الانسان لحظة مات والقصد الاصلى بالنفس ايصال الهواء البارد للقلب وباخراجه دفع الفضلة الفاسدة منه * وجعل الفم آلة لتحصيل مصالح الروح وأودع فيه اللسان المعرب عما في القلب وجعل فيه وفى الحنجرة والشفتين مقاطع ومخارج للحروف المؤدية للمعاني* وخلق الحناجر مختلفة الاشكال ضيقاً وخشونة وملاسة لتختلف الاصوات فلا يتشابه صوتان البتة فكما حصل الامتياز بين الاشخاص بالقوة الباصرة حصل

بالقوة السامعة * وجعل فيه الاسنان لتعين على مقاطع الاصوات فتحدث الحروف المختلفة بسببها ولتكون آلة للقطع والكسر والطحن وجعل المقدمة حادّة عريضة الرؤس لتكون كالسكين والانياب مستديرة الرؤس خشنة كالرحى للطحن ولو قدّر كون الاضراس مقدمة والرباعيات مؤخرة لبطلت المنافع وزين الفم بالاسنان فبيضها ورتب صفوفها كأنها الدر المنظوم * وخلق الشفتين تحسيناً للشكل وليقيم بهما مخارج الحروف * وجعل الاذن بلا حجاب ولا باب * وخلق وراء اللسان بابين الاسنان والشفتين تنبيها على انه يجب كون استماع الكلام أكثر * وجعل الفم معدنا للرطوبة العذبة اللعابية فاذا طحن الطعام بأسنانه امتزج اللعاب فوصل أثر الطعام اللذيذ حالا ولولا اللعاب لتعذر مضغ الطعام وعسر بلعه وامتنع تكياسه وهضمه فسبحان المصور

﴿ انظر ﴾ الى وجهك مع صغره فانه تعالى وضع فيه أربعة بحار مختلفة الطبائع والطعم فجعل الاذن مملوءة ماء مرّا لئلا يدخلها شئ من الحشرات والعين مملوءة ماء ملحاً لئلا تتطرق العفونة الى ذلك الشحم وفي الفم ماءً عذباً ليجد الطعم وفى الانف ماء غضرا متغيرا لانه مصب فضلات الدماغ * وخلق اليدين للطاب والرجلين للهرب ولو ذهبنا نذكر تفاصيل ذلك وتكلمنا على بقية البدن لضاقت الانفاس وامتلأ القرطاس فسبحان من له في كل شئ حكمة

تبكي اذا ذكرت عهوداً بالحمى * بمدامع تهمى ولم تتقطع

﴿ اللغة ﴾ (البكاء) بالمد سيلان الدمع عن حزن وأصله غليان دم القلب بتذكر مايصعب على النفس وقوعه فيتصاعد بقوة التفكر ماء ممزوج بحرارة الشوق ونار الغرام الي الرأس ثم ينحدر الي التجاويف (والذكر) حضور الشيء في القلب (والحمي) البقعة التي يحوزها الانسان بقوته ومنعته ويمنع غيره

من التعدي عليها (والمدامع) جمع مدمع وهو محل اجتماع الدمع والمراد هنا الدمع نفسه (وتهمى) تسيل يقال همى الدمع والماء هميا اذا سال (وقوله ولم تتقطع) أى لم تجف أو لم تحبس يقال انقطع النهر اذا جف أو انحبس

﴿ الاعراب ﴾ (تبكي) فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى ورقاء جواب اذا وقدم عليه للوزن (واذا) ظرفية شرطية (وذكرت)فعل الشرط وفاعله مستتر فيه يعود الى ورقاء أيضاً (وعهوداً) مفعوله (وبالحمى) جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لعهود أي عهوداً ماضية بالحمى (وبمدامع) متعلق بتبكي وجملة (تهمى) صفة لمدامع (ولم تتقطع) عاطف وجازم ومجزوم وكسر للروي وفاعله الضمير المستتر يعود للمدامع

﴿ المعنى ﴾ هذا البيت قد اختلف الشراح في فهمه * فذهب جمع الى أن ذلك البكاء في هذه النشأة ثم اختلفوا في سببه فقال ابن الكمال ان النفس اذا الفت البدن واحبته تألمت باستشعارها فراقه فبكت وعلى هذا فالمراد بالحمى البدن شبهه به لأن النفس اذا تعلقت ببدن لم يكن لنفس أخرى التعلق به فهو كالحمى لها * وقال بعضهم معناه اذا ذكرت عهود أهل الحمى اشتعلت نار الشوق فيها فبكت على مفارقة الروحانيات وعليه فالمراد بالحمى عالم المجردات وهذا يقتضي تقدم خلق الارواح على الاجساد ولا يلزم منه قدمها كما توهمه البعض فاعترض به على الناظم بانه لايوافق مذهبه من الحدوث كما مر *وذهب بعضهم الى أنه انما يكون بعد مفارقة البدن وذلك لانها عند مفارقتها له نظرت الى تفكيك هذه الاوصال وتفرق هذه البنية البديعة المثال وتلاشي هذا البيت المعمور المعجوز عن الاتيان بمثله الا لصانعه المتقدس عن أن يُدرَك بالحواس أو يقاس بالناس فعظم عليها الوجد والبكاء والاحتراق ولو جاز عليها

الفناء لربما فنيت نفوس كثيرة صبابةً على هذا البيت الشريف الذي كان يسميه هرمس الاول بيت الله ويسميه سقراط الهيكل المقدس فهى بعد المفارقة تتردد اليه وتقف بازائه وتبكي وتندب حاله وتتأسف على تلك الهيئة الاجتماعية وعليه فالمراد بالبكاء التفجع والتوجع والكآبة والحزن لان البكاء انما يكون فى هذا التركيب بهذه الحواس (ثم ان النفس ان كانت سعيدة فتفجعها رحمة للهيكل الذي بواسطته صارت فاضلة خيرة كيف استولى على أجزائه البلى وفارق كثيفه لطيفه بعد ما كان في رفاهية وتود لو كان باقياً مثلها وان كانت شريرة فتفجعها لما انه قد حيل بينها وبين اللذات الجسمانية التي كانت تتوصل اليها به

﴿ فائدة ﴾ قال ابن القيم الروح تأخذ من بدنها صورة تميز بها عن غيرها بعد المفارقة فانها تتأثر وتنفعل عن البدن كما يتأثر البدن وينفعل عنها فيكتسب البدن الطيب والخبث منها كما تكتسبهما هي منه قال بل تميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الابدان فان الابدان تشتبه كثيراً وأما الارواح فقلما تشتبه * قال ويوضحه انا لم نشاهد أبدان الائمة وهم متميزون في علمنا أظهر تميز وليس هذا التميز راجعاً الى مجرد أبدانهم بل بما عرفناه من صفات أرواحهم * وأنت ترى آخرين شقيقين مشتبهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين * وقل ما ترى بدناً قبيحاً وشكلا شنيعاً الا وجدته مركباً على نفس تشاكله وتناسبه * وقلّ أن ترى آفة في بدن الا وفي روح صاحبه آفة تناسبها ولهذا يأخذ أصحاب الفراسة أحوال النفوس من أشكال الابدان وقل ما ترى شكلا حسناً وصورة جميلة وتركيباً لطيفاً الا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له * واذا كانت الملائكة تميز من غير أبدان تحملهم وكذا الجن فالارواح البشرية أولى ﴿ وفي بعض النسخ وقد ذكرت * وقوله تهمي أى

تنزل بقوة اندفاع وانحدار يقال همى السيل والمطر تواتر نزوله بقوة فهي استعارة مجردة وفي نسخة بدل ولم تتقطع ولما تقطع وفي أخرى ولم تتقلع وفي أخرى ولما تقلع أي هى مقيمة على البكاء والتفجع لاتتركه لتواتر الاسباب واستحالة الاستدراك وحصول اليأس وفى نسخة تهمى ببنائه للمفعول وجعله للفاعل أولى لان بناءه للمفعول يستدعى فاعلا خارجاً عن النفس ولو بطريق التجريد

﴿ تنبيه ﴾ للغزالي كلام نفيس يتعلق بما هنا أحببت ايراده ليفاد وان كان بعض تكرار لما تقدم قال اذا أردت أن تعرف حقيقة الموت وما فيه فلن تعرفه مالم تعرف حقيقة الحياة ولن تعرفها مالم تعرف حقيقة الروح وهى نفسك وحقيقتك وهى أخفى الاشياء عنك ولا تطمع في أن تعرف ربك قبل أن تعرف نفسك ودواعي نفسك التى هى من خاصة الامر المضاف الى الله في قوله تعالى ويسألونك عن الروح الآية وقوله ونفخت فيه من روحي دون الروح الجسمانية اللطيفة حاملة قوة الجنين وحرارة الحركة التى تنبعث من القلب وتنتشر فى جملة البدن في تجاويف العروق الضوارب فيفيض منها نور حس البصر على العين والسمع على الاذن وكذا سائر القوى كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا ادير في جوانبه فان البهائم تشارك في هذه الروح وتمحق بالموت لانها بخار اعتدل بصحة عند اعتدال مزاج الاخلاط فاذا انحل المزاج بطل البخار كما يبطل النور الفائض من السراج عند انطفائه بانقطاع الدهن عنه أو بالنفخ عليه وبانقطاع الغذاء عن الحيوان تفسدهذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج والقتل له كالنفخ فيه فهذه هي الروح التى يتصرف في تعديلها وتقويمها علم الطب ولا تحمل هذه الروح

المعرفة والامانة * بل ذلك للروح الانسانية أي الخاصة بالانسان والمراد بالامانة تقلد عهدة التكليف بأن تتعرض لخطر الثواب والعقاب في الطاعة والعصيان وهذه الروح لاتموت ولا تفنى بل تبقى بعد الموت فى نعيم وسعادة أو جحيم وشقاوة فانها محل المعرفة والايمان كما نطقت به الاخبار وشهدت له شواهد الاتصال ولم يأذن الشرع في ذكر تحقيق صفتها اذ لايحتمله الا عقول الراسخين فى العلم وكيف يذكر وله عجائب من الاوصاف لايحتملها أكثر عقول الخلق فلا تطمع في ذكر حقيقتها* لكن نذكر لك تلويحات يسيرة من صفتها بعد الموت فهذه الروح لا تفنى ولا تموت بل يتبدل بالموت حالها فقط وتتبدل منزلتها فترتقى من منزل الى منزل والقبر فى حقها روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ولم يكن لها مع البدن علاقة الا استعمالها البدن واقتناص أوائل المعرفة مرسلة شبك الحواس فالبدن آلتها ومركبها وشبكتها وبطلان الآلة والمركب والشبكة لا يوجب بطلان الصائد * نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانها غنيمة اذ يتخلص من حملها وثقلها ولذلك قال المصطفى تحفة المؤمن الموت* وان قطعت الشبكة قبل الصيد عظم فيه الحسرة والندامة والألم ولذلك يقول المقصرون رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت * فان كان يألف الشبكة وأحبها وتعلق قلبه بها وبحسن صورتها وصنعتها وما تعلق بها كان له من العذاب ضعفان حسرة فوات الصيد الذي لا يقتنص الا بشبكة البدن وزوال الشبكة مع تعلق قلبه بها والفه لها وهذا مبدا من مبادي عذاب القبر

﴿ واعلم ﴾ ان معنى الموت زمانة البدن وزمانته خروجه عن طاعة النفس مع وجود شخصها لبطلان القوة التى بواسطتها تستعمل البدن فالموت زمانة

مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها * ويسلب الموت منك جميع حواسك وأنت باق أعني حقيقتك التى بها أنت فانك الآن الانسان الذي كنت في الصبا ولم يبق فيك من الاجزاء التي كانت شيء بل انحلت كلها وحصل بالغذاء بدلها وأنت أنت وجسدك غير ذلك الجسد * وان كان لك معشوق تفتقر فيه الى حواسك عظم عذابك لفراقك معشوقك وجميع مافي الدنيا معشوق ولا ينال الا بالحواس ولا فرق فى عذاب العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه وبين ان تفقد ذاته ويسلب عنه بأن يحمل الى موضع حتي لا يراه فيكون الألم من عدم الرؤية ومن أحب أهله وماله وعقاره وقريبه وجاريته وثيابه تألم بفراقها سواء سلبت عنه أو سلب هو عنها بأن حمل الى موضع آخر وحيل بينه وبينها * فالموت يسلبك عن هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون عذابك بقدر عشقك لها والموت يخلي بينك وبين الله تعالى ويقطع عنك هذه الحواس الشاغلة المشوشة فتكون لديه فى القدوم عليه بقدر حبك له وأنسك بذكره ولهذا نبهك وكنت ضالا فهداك * وأجمع العبارات عن نعيم أهل الجنة أن لهم فيها مايشتهون ولا يلذ الا الشهوة ولكن عندمصادفة المشتهى ولا يؤلم الا الشهوة ولكن عندمفارقة المشتهى * ولا ينبغى ان تغتر الآن فتقول ان كان هذا سبب عذاب القبر فانا لى أمان منه اذ لا علاقة بيني وبين متاع الدنيا وتخرج عنها بالكلية فكم من رجل باع جاريته على انه لا علاقة بينه وبينها فلما أخذها المشتري اشتعل قلبه ناراً وقد يقتل نفسه فكذا يكون حالك في القبر في كل ماتعلق قلبك به من الدنيا * ولهذا قال المصطفى أحبب من أحببت فانك مفارقه ووراء هذا عذاب أعظم منه وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله والنظر الى وجهه الكريم وينكشف لك بالموت

عظم مافاتك منه وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت فان الموت سبب لانكشاف ما لم يكن انكشف * كما ان النوم سبب العيان بالغيب بمثال أو غيره والنوم أخو الموت لكنه دونه بكثير * وهذان عذابان متضاعفان على كل ميت كان غير الله أحب اليه منه وكان أنسه بغيره اكثر من انسه به ضروريان ان عرفت بالحقيقة الروح ومعناها بعد الموت وعلائقها وما يضادها بالطبع وما يوافقها

﴿ واعلم ﴾ انه قد ظهر لى بالمشاهدة ظهوراً أوضح من العيان ان أصناف عذاب القبر بعد فراق البدن خلا نه أعني الروحانى منها فرقة المشتهيات وخزى خجل الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات فهذه ثلاثة أنواع من النيران الروحانية تتعاقب على من آثر الحياة الدنيا الى أن ينتهى الى مقاسات النار الجسمانية (فالنوع الاول حرقة فرقة المشتهيات) وصورته المستعارة من عالم الحسّ والتخيل التنين الذي وصفه الشرع وعدّد رؤسه وهي بقدر الشهوات ورذائل الصفات تلدغ صميم الفؤاد لدغاً مؤلماً وان كان البدن بمعزل عنه فقد زال ما كان مستولياً على ما كان عدوه واسترقه وصار يتمتع بنعمته وأهله وجواريه بين يديه فهل ترى على قلبه تنيناً ذا رؤس كثيرة يلدغ فؤاده وبدنه بمعزل عنه او لا * ومن كان افقر وتمتعه اقل كان عذابه اخف * ومن لا علاقة له من الدنيا لا عقاب عليه اصلا (الثاني خزي خجل الفاضحات) قدّرنا ان رجلا دَنِيّاً عاجزاً قربه ملك وقواه ومنّ عليه ومكنه من حريمه وخزائنه فخانه في ماله وفجر بأهله وهو يعتقد أنه غير مطلع عليه ثم حانت منه التفاتة فرآه مطلعاً عليه فانه يحترق بنار الخزى والخجل فهكذا انت تفتضح ويحرق قلبك على عملك الذي ظننت انه هين وهو عند الله عظيم

(الثالث حسرة فوت المحبوبات) قدّرنا ان نفسك مع جماعة دخلتم في ظلمة وفيها حجارة لا ترى ألوانها فقال اقرانك احمل من هذا ما تطيق فلعل فيه نفعاً فقلت ماذا أصنع بالحجارة فاكدّ نفسي بحملها ولا أدرى عاقبته فيأخذ أقرانك ما أطاقوا حمله وتركت أنت فلما جاؤا وراء الظلمة وجدوها جواهر فأصبحوا بها أغنياء وأنت معهم فكيف ترى اشتغالك والحسرة فى قلبك وبدنك بمعزل عنه وكيف تقول يا حسرتى على ما فرطت فحال تارك الطاعات ينكشف له بعد الموت قدر الطائعين وحرمانه من الثواب ما يتحسر عليه ويتألم به * ولا تظن أن الله يغضب عليك انتقاماً ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول لم يعذبني ولم تضره معصيتي اذ يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم وهذه الحسرة دائمة لا تزول أبداً وهذه الانواع الثلاثة مترتبة * فالاول أول ما يلقاه الميت وهو فرقة المشتهيات لان أغلب الاشياء على قلبه فى الحال فراق ما فاته من نحو مال وجاه وبنوة ونعمة (ثم بعده تنكشف له أرواح الاعمال وحقائقها القبيحة وذلك عند الانهيار التام فى الموت وبعد الفناء وكلما كان امعانه فى الموت أشد فهو للكشف أقبل فيفيض عليه عند ذلك خزى الفضيحة (وأما الثالث فيستولى عليه آخراً لانّ بعد العهد عن الدنيا يخفف عنه عذاب النزوع اليها * وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزي الافتضاح الان وصول عذاب الخزي يكون عند هجوم الافتضاح ثم يألف الفضيحة والخزى *ثم عند فتورهما تنكشف حسرة الفوت لظهور جلالة الغائب وهذا كله تعرفه إذا عرفت نفسك وعرفت أن مآلك الموت لكن عقب ما تعمى عيناك وتصم أذناك وتفلج أعضاؤك * فاما الحقيقة التى بها أنت انت فلا تفنى بالموت اصلا بل يتغير حالك فقط وتبقى جميع معارفك وادراكاتك الباطنة وهذا

كله مقدمات أعدّ لها الجسم البدنى وله ميعاد معلوم واقنع الآن بهذا القدر فانه انموذج فيه كفاية انتهى

﴿ وقال فى المضنون ﴾ النفس اذا فارقت البدن وحملت القوة الوهمية معها تجدها منزهة لا يصحبها شئ من الهيئات البدنيـة وهي عند الموت عالمة بمفارقتها عن البدن وعن دار الدنيا متوهمة نفسها الانسان المقبور الذى مات وعلى صورته كما كان فى الدنيا يتخيل ويتوهم وتتخيـل بدنها مقبوراً فان كانت شقية تتخيل الآلام الواصلة اليها على سبيل العقوبة الحسية على ما وردت به الشرائع الصادقة فهذا عذاب القبر وان كانت سعيدة تخيلته على صورة ملايمة على وفق ما كان يعتقده من الجنات والانهار والغلمان والولدان والحور العين والـكأس من المعين وهذا ثواب القبر فلذلك قال المصطفى القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار * فالقبر الحقيقى هـذه الهيئات * وعذاب القبر وثوابه ما ذكرنا * والنشأة الاخرى خروج النفس من هذه الهيئات كما يخرج الجنين من القرار المسكين انتهى

وتظل ساجمة على الدمن التى * درست بتكرار الرياح الاربع

﴿ اللغة ﴾ يقال ظل يفعل كذا أي اشتغل به نهاراً وقد يراد به الدوام وسجمت الحمامة اذا رددت صوتها على وجه واحد والدمن بكسر ففتح جمع دِمنة وهى ما بقى من آثار الديار ورسومها أو ما سوّد منها بالارمدة والمراد هنا اجزاء البدن والدروس ذهاب الاثر

﴿ الاعراب ﴾ (وتظل) الواو عاطفة وتظل فعل مضارع ناقص واسمها المستتر يعود الى ورقاء (وساجمة) خبر (وعلى الدّمن) متعلق بساجمة (والتى) نعت الدمن (ودرست) صلة التى ونائب الفاعل المستتر عائدها (وبتكرار)

متعلق بدرست مضاف (والرياح) مضاف اليه (والاربع) نعت الرياح

﴿ المعنى ﴾ قوله تظل أسى تدوم وأراد بالدمن هنا المادة الجسمانية أعنى أجزاء البدن وقواها وعبّر هنا بذلك لان البكاء لايعظم الا اذا بقيت المنازل التى كان يستوفى منها الانسان مألوفه فاذا كانت باقية اشتد البكاء والنحيب ومشاهدتها على ذلك المنهج يهيج ما كان كامناً فى القلوب وأراد بالرياح الطبائع الاربع الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة التى ليس السبب فى بطلان البدن الاعدم اعتدالها فأضاف الدروس والانطماس الى تلك الكيفيات لان الموجب للاندراس تفاعلها وعبّر عنها بالرياح لان غالب تغير العالم انما هو بها لحملها التراب حتى تكسى بها العمارات الانيقة سيما اذا كانت من جميع الجهات وذلك وارد على طريق الاستعارة فنزل البدن منزلة الدار واختلاف الاخلاط منزلة الرياح واستيلاء الفاسد من الخلط حتى صار مرضاً منزلة الاتربة والرمال وأشار بقوله تظل ساجمة الى ما يبقى مع النفس عند المفارقة من الاسف والحزن على البدن ومقتضياته والمحبوبات الدنيوية التى ألفتها النفس حال تلبسها بالبدن وأحبتها الى أن يضمحل ذلك ببعد العهد بالحياة الاولى ﴿ تنبيه ﴾ فى البيت تصريح من الناظم ببقاء النفس بعد الموت وقد اتفق القائلون بمغايرة النفس للبدن من أهل الملل والحكماء على انها لاتفنى بفنائه لظهور ان علامة التدبير لا تقتضى ذلك الا أن دليل بقائها عندنا السمع وعند الحكماء امتناع فنائها لان أجزاء البدن تتبدل وتتحلل والمدرك منك ثابت فلو كانت النفس مما يبطل ببطلان البدن لبطلت عند التبدل الاول فان علاقتها مع الروح والروحُ أبداً فى التحلل وليس النفس ذات مكان أو محل فيكون لها مزاحم أو مضاد يبطلها أو يتغير استعداد

المحل فتبطل فليس بينها وبين البدن الا علاقة شوقية وهى اضافة والاضافة أضعف الاعراض فانه ينتقل ما على يمينك الى يسارك وتتبدل اضافتك اليه بدون تغيير فى ذاتك فلو كانت النفس تبطل ببطلان البدن لكانت أضعف الاعراض وهو محال فما كان المفارق هو علتها دائما وليست ذات محل فتبقى ببقائه

﴿ خاتمة ﴾ قال الغزالى تقرير النفس وهل هى باقية أم لا كالقطب لسائر العلوم وله يجدّ المجتهدون ويعمل العاملون ولا فائدة أعظم منه فان نبوة الانبياء والثواب والعقاب والجنة والنار وسائر شؤن الدنيا والآخرة المأخوذة عن الرسل لا تثبت متى أبطلت هذه المسئلة فان النفس اذا لم يكن لها بقاء فجميع ما أخبرنا به أو طمعنا فيه باطل وبحسب ما نثق به من هذه المسئلة نجتهد وبحسب ما يغيب منها نفتر وبهذه المسئلة كفر الزنادقة فانهم زعموا أن حقيقة الانسان مزاج معتدل كالنبات متى اعتدلت قواه بقى ومتى غلب عليه حر أو برد فسد ودثر ثم لا يرتجى بعد ذلك موتاً ولا حياة ولا نشورا فاستخفوا بالخالق والخلق واستهانوا برسل الحق فهذا أهمّ العلوم مطلقا

اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها * قفص عن الاوج الفسيح المربع

﴿ اللغة ﴾ (قوله عاقها) أي منعها يقال عاقه من باب قال واعتاقه وعوّقه بمعنى منعه (والشرك) بفتحتين حبالة الصائد (والكثافة) الغلظ وبابه ظرف فهو كثيف (وصددته) عن كذا صدا منعته وصرفته وصددت عنه اعرضت (والقفص) بالتحريك واحد اقفاص الطير قيل معرب وقيل عربى واشتقاقه من قفصت الشئ اذا جمعته (والاوج) المكان المرتفع ضد الحضيض (والفسيح) المتسع (والمربع) وزان جعفر منزل القوم فى الربيع

أو مكان ذو بهجة يرتاح الباطن اليه

﴿ الاعراب ﴾ (اذ) تعليلية (وعاقها) فعل ومفعول (والشرك) فاعل (والكثيف) نعت الشرك (وصدها قفص) عاطف وفعل ومفعول وفاعل (وعن الاوج) متعلق بصدها ويقدر امامها عنه أي الاوج (والفسيح) نعت الاوج صفة مشبهة (والمربع) عاملها مضاف اليها مثل الحسن الوجه

﴿ المعنى ﴾ يريد ان العلاقة الجسمية والعوائق الطبيعية عوقت النفس عن اتصالها بالعقول المجردة الخالية عن الشوائب الجسمية والنقائص المادية فتعلق النفس بالبدن هو المعوّق لها عن الاتصال بالعالم العقلى الاوسع من مِن عالم المحسوسات ووصفه بالسعة لان ضيق المكان انما يكون لازدحام الاجسام فيه والمجردات ليست ذوات أوضاع فلا يتصور ذلك فيها * فعلم بهذا التقرير انه أراد بالشرك الدنيا لانه يبذر فيه الحب ليسقط الطائر بطمعه عليه لكونه قوام حياته ومناط لذاته وان كان فيه مكر وخديعة لحصوله به فى الشرك لكن الشهوات وان كانت شبيهة بالشرك فالمقصود الذاتى للبارى سبحانه من اهباط الانسان للدنيا التأهل للكمال اذ به العود الى ذلك العالم وان لم يكن مصاحباً لذلك البدن وان جاز تعلقها ببعض الابدان على بعض الوجوه كما أشار اليه الناظم في الاشارات * وحصول الهلاك ليس مقصوداً للبارى بالقصد الاول بل بالثانى لان رحمته سبقت غضبه ورحمتى وسعت كل شئ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ووصف الشرك بالكثافة لتكون أبعد من التخلص وأراد بالقفص الهيكل الجسمانى الذي هو مركب النفس ووكرها الذي تأوى اليه وتعمد فى

التصرف عليه وهذا فيه استعارة فكما ان القفص الذى فيه الطائر لا يمكنه مفارقته الا من جهة واضعه فيه مع كونه مشبكا ينظر الطائر الى الاشياء الخارجة من خلاله فكذا البدن مشبك بالحواس الظاهرة والباطنة والنفس تطالع المحسوسات الخارجة من ذلك الهيكل والاوج المكان العالى من الفلك المحيط بالاضافة الى الحضيض وهو المقابل له من جهة النزول * واعلم بما وصف أن من كان مركزه الأفق الاعلى واخوانه المجردات وكان منزهاً فى ذاته عن المكان وفى ماهيته عن تغييرات الزمان فلا أوج أوسع من أوجه *وأراد بالمربع هنا كثرة مافى المقام الرفيع من الخيرات كفيض الانوار وأصوات حركات الافلاك وما في اصطكاكها من اللذة التى تأخذ المجردات عن اكوانها وكيف تجلى روحانيات الكواكب مشرقة على كراسى مجالسها وهذا البيت كالتعليل لما قبله

﴿ تنبيه ﴾ زعم بعضهم ان الرواية الشِّرك بكسر فسكون والمراد به فى حق العموم الشرك الاصغر الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصفا لكن سياق الناظم ينبو عنه وفي قوله الاوج الفسيح المربع تكثير واطناب وتهويل وذلك لان عادتهم اذا عظمت المطالب يعددون العلل وان أمكن اتحادها

حتى اذ قرب المسير الى الحمى * ودنا الرحيل الي الفضاء الاوسع

﴿ اللغة ﴾ (القرب) ضد البعد (والمسير) مصدر بمعنى الذهاب (والحمى) المحمى كما مرّ لكن المراد هنا البدن على ماقاله جمع من الشراح وهو غير جيد لان الموت اذا قرب فسير النفس الناطقة انما هو من العالم الجسمانى لا اليه فالمتجه أن المراد به عالم المجردات وهو المحل الذى لا يأسف

ساكنه على شئ ولا يفوته شئ ولا يحزنه الفزع الاكبر (والدنوّ) القرب يقال دنا منه واليه دنوًّا قرب فهو دان وعليه فذكره بعد القرب الذى هو بمعناه تفنن وكراهة لتوالى الامثال فى بيت واحد (والرحيل) بمعنى الارتحال (والفضاء) بالمد المكان الخالى (والاوسع) الواسع بزيادة على غيره وأراد به هنا عالم المعقولات فانه أوسع جدًّا من عالم المحسوسات اذ المحسوسات منحصرة فى أجناس من الموجودات قليلة متناهية والمعقولات غير متناهية

﴿ الاعراب ﴾ (حتى) حرف غاية وجر (واذا) ظرفية (وقرب) شرطها وجواب الشرط هجعت أو سجعت فى البيت الآتى وقرب المسير هو غاية ذلك البكاء والمغيا البكاء عند ذكر العهود بالحمي واستمرارها ساجمة على الدمن وقد ذكرا قبل هذا البيت

﴿ المعنى ﴾ أراد لما قربت مفارقة النفس للبدن وقطع العلائق الجسمانية والاتصال بالعقول المجردة هجعت وفعلت كذا وكذا * قال الشارح هذا اشارة الى الحالة التي هى الغاية اللاحقة للنفس وهو آخر كمال يلحقها بالاضافة الى السكون فى هذه الدار وأول كمال يحصل لها بالاضافة الى الدار الآخرة وحقيقة الموت على رأى الناظم ليس الاّ حط النفس للآلة البدنية عند عروض غلبة بعض الطبائع وعدم قبول البدن للتصرف وامتناع الحركة والسكون وهذه تسمى حالة التعطيل لذلك البدن وتشبه بصانع الق آلته ومضى لمنزله فهناك تكون المفارقة والخلاص من ذلك القفص والرحيل الى عالم القدس والسعادة وحط الرحل بعالم البرزخ والسرور النير بالانوار الذاتية المحمى عن التنافس والتقاطع والتدابر فهذا حقيقة الموت عنده وعليه صدق قولهم انه كمال لاحق وسابق ودنوّ الرحيل مشارفة النفس لتلك الحالة التى هي

المفارقة المسماة بالموت واطلاق المسير والرحيل عليها استعارة من الحالة المحسوسة الى المعقولة

﴿ تنبيه ﴾ قال الغزالي في المعراج الموت فساد المزاج وعدم قبول الجسم الانفعال للنفس لعدم الحس والحركة فمن زعم أن النفس قديمة زعم أن ترك النفس للبدن كالرجل يرتحل عن بيت ضُيّف فيه الى داره وعلى الرسم المتقدم كمن لبس ثوباً حتى تقطع وتخرق عنه فيسقط عنه الثوب فيبقى عرياناً والملك الموكل بالموت موكل بسبب الموت أيضاً فيسوق الآلام ويبعث النفس على الهلكة فيكون الموت بواسطته ولا يبعد أن يكون للنفس ملائكة تتلقاها بالسخط والرضى كما شهدت به الظواهر * وأما هل الموتُ كمال أو نقص فحقيقة النقص الرجوع من الأعلى الى الادنى والكمال الارتقاء من الادنى الى الاعلى فالانسان ان كان يرتقي بسبب الموت الى أعلى فهو كمال وذلك لانه متردد في أطوار الخلقة من كونه تراباً فنطفة فعلقة فمضغة فلحماً ثم يكون نفساً ثم يكون مولوداً رضيعاً ثم فطيما ثم صبياً ثم شاباً ثم فتى ثم يافعاً ثم كهلا ومن كونه جاهلا ثم عالماً فما من منزلة من هذه المنازل الا تجدها كمالا والانسان لو جعل له عقل في بطن أمه لم يرض أن يبدل بها سواها وذلك للالفة وعليه أنشدوا

لما توذن الدنيا به من فراقها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لاوسع مما كان فيه وأرغد

ولولا عدم الالفة ووحشة التبدل لما بكى والنفس خوارة بل الشيخ الكبير على طول تجربته اذا رحل من دار الى دار وجد الما وسهرا وربما لم ينم وكذا الغريب وانما كانت الغربة مؤلمة لعدم الالفة وأنشدوا

وحبَّبَ أوطانَ الرجال اليهمُ * مآرب قضَّاها الشبابُ هنالكا

ولذلك أمرت الرسل الخلق بالاقلال من الدنيا ورغَّبَ الزهادُ فى ترك الوطن ورغَدِ العيش * وقال المصطفى كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعُدَّ نفسك فى أهل القبور * وقال مثلى ومثل الدنيا الا كراكب قال فى ظل شجرة ثم سار وتركها

﴿ فالقصد بالرياضة وتمرين النفس على الشدائد ﴾ انْ تمحي هذه الامور عنها وتزول عنها الالفة لهذه الدار فاذا ماتت وان شق عليها ماحصلت فيه لاتلبث الا يسيرا فتفرح فرحاً لانهاية له واذا كانت مشغولة بالمال والاهل والاقبال على اللذات والعكوف على الشهوات كان ذلك مكدراً وشاغلا عند الموت فانه انتقال من ضدّ الى ضد وهو هلكة فامر الربُّ لطفا منه بالعبد ان يكون بين ضدين بتدريج وعُلِمَ مما مر أن النفس آخذة فى الكمال من حين خلقها الى حين موتها فالموتُ كمال الاجسام لان النفس تبرأ عن المادة وتلحق بافق الملائكة وهى الخبيئة العليا فان كانت نفسا شقية كان كمالا باعتبار المادة ونقصا من حيث تخلفها عن الخبيئة العليا فلا تزال كئيبة حزينة على جسمها وملاذّها وحواسها فانها لم تعتَدْ تركه ولم تُرُضْ ذاتها على ترك الملاذّ فكانت حين نزعها حزينة على البدن فلا تزال في حسرة وندامة والم ونهش عقارب وحيات وسلاسل وأغلال أبد الآبدين الاّ ماشاء ربك

وغدت مفارقة لكل مخلف * عنها حليف الترب غير مشيع

﴿ اللغة ﴾ (غدا) الشئ غدوًا من باب قعد ذهب غدوة وهو مابين الفجر وطلوع الشمس هذا أصله ثم كثر حتى استعمل فى الذهاب والانطلاق أىّ وقت كان كما هنا (والحليف) المصاحبُ والمعاهد يقال تحالفا اذا تعاهدا وتعاقدا على ان يكون أمرهما واحدا فى النصرة والحماية (والتُّرب) وزان

فعل لغة في التراب (والتشييع) الاتباع والتوديع تقول شيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها وشيعت الضيف خرجت معه عند رحيله اكراما له وهو التوديع

﴿ الاعراب ﴾ (وغدت) الواو لعطف الجملة بعدها وغدت فعل مضارع ناقص واسمه الضمير المستتر فيه العائد الى النفس (ومفارقة) خبره (ولكل) جار ومجرور متعلق بمفارقة واللام فيه للتقوية وكل مضاف (ومخلف) مضاف اليه (وعنها) متعلق بمخلف (وحليف) حال من مخلف مضاف (والترب) مضاف اليه (وغير) حال أيضاً من مخلف مضاف (ومشيع) مضاف اليه وجملة غدت معطوفة على جملة اذا قرب المسير المارة فهى فى محل جر

﴿ المعنى ﴾ قوله وغدت أى اخذت فى قطع العلائق والاسباب غدوة ولم يقل ذهبت أومضت لان المباكرة شأن من يريد نجاز الامر فانها تنفى الكسل ولهذا ورد فى الحديث بورك لامتى فى بكورها وذلك لان النفس حين تهب من النوم يقارنها النشاط لانحلال البخار دوريا عند ارادة الراحة والنفس لاتحس بامتلاء عند القيام من النوم وان لم يكن الهضم حقيقياً فاذا استوفت القوى مآربها غدا الانسان في مطالبه غير مكترث الا بوجهته وماقيل من ان القيام من النوم يوجب احساسا ما فى المعدة فلابد من تناول ولو جرعة ماء حار فانه يذهب الكسل ويشد الاعضاء فصحيح لمن بادر الى النوم قبل الهضم * قال شيخنا داود الانطاكي والقهوة من هذا القبيل * قال الشارح هذا البيت اشارة الى حصول الموت بالفعل والمراد بالمخلف البدن المعطل المطروح بعد المفارقة واضافة كل اليه لما فيه من معنى الجمعية لاشتماله على جمع من الاجزاء والقوى والاعضاء

ووصفه بكونه حليف الترب أي الارض الكثيفة اشارة الى انه ملازم لحظيرته غير مفارق لتربه وقوله غير مشيع أي انه خسيس غير ملتفت اليه اشارة الى قصور حاله فى الشرف بعد مفارقتها له وطرحها اياه معطلا عن قبول التدبير والتصرف ولذلك حث الشارع على المبادرة الى تجهيزه ومواراته بما روى إكرام الميت دفنه وجعل ذلك اكراما له لكونه آلة لتلك النفس الزكية فى تحصيل الكمالات الانسانية ووصولها بذلك الى تمام المقصود فلذلك كان له حظ من الاكرام والاحترام على ابناء الجنس ومن ثم ندبت زيارة القبور

﴿ تنبيهات ﴾

﴿ التنبيه الاول ﴾ قال الغزالى اذا كان لابد من المفارقة فيجب على من رزقه الله عقلا وميزبارئه ونفسه ان يسعى فى حيلة لنفسه وليكن فى الدنيا كرجل سجنه سلطان زمانا وبعثه الى أرض يكرهها وأهلها واغذيتهم فاذا حصل بينهم علم انه متى تركهم عذبوه وان خالطهم كفوا عنه فيكلمهم ويأكل معهم ولكن ذهنه وقلبه وعشقه لقطره الذى خرج منه فاذا أخرجه الملك من ثم الى قطره كان فرحا بمفارقتهم فلو عكف عليهم وصرف همته اليهم ثم بعث به اليه كان خروجه نكدا فلا يزال معذبا فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور والرب تعالى هو المسؤل ان يختم لنا بالخير ويجعلنا به وله فيما نأتى ونذر وأن يتجاوز عنا اذا وفدنا اليه محتاجين فقراء الي فضله منقطعين عن الاهل والوطن مخلفين الابناء مبتعدين عن الآباء وقد حيل بيننا وبين القريب والصاحب والموالى والاقارب اذا شرّقت العين وجفّت الشفة ويبست القدم حين لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون لايستجيب لمن دعاه ولا يرى شق الجيوب عليه حين الوفاه

﴿ التنبيه الثاني ﴾ قال الغزالي الناس عند الموت ثلاثة أقسام (الاول) موفق ذو بصيرة يعلم أن الموت يعتقه والحياة تسترقه وأن الانسان وان طال مكثه في الدنيا كخطفة برق لمعت في اكناف السماء ثم اختفت فلا يثقل عليه الخروج من الدنيا الا بقدر مايفوته من خدمة ربه والازدياد من قربه والاشفاق مما يقول أو يقال له * قال بعضهم لما قيل له لم تجزع قال لاني اسلك طريقا لم أعهده وأقدم على رب لم أره ولم أدر ما أقول وما يقال لي ومثل هذا لا ينفر من الموت بل ربما اذا عجز عن زيادة العبادة اشتاق اليه * قال بعضهم في مناجاته الهي ان سألتك الحياة في دار الموت فقد رغبت في البعد عنك وزهدت في القرب منك وقد قال نبينا من أحب لقاء الله أحب الله لقاء (الثاني) رجل رديء البصيرة متلطخ السريرة منهمك في الدنيا منغمس في علائقها رضي بالحياة الدنيا واطمأن اليها ويئس من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فاذا خرج الى دار الخلود أضرته كما يضر الورد بالجعل فاذا فارق الدنيا لم يوافقه مصاحبة الملا الاعلى فكان كما قال تعالى ومن كان في هذا أعمى فهو في الآخرة أعمى فالدنيا سجن الاول وجنة الثاني والاول عبد ناداه مولاه فاجابه طوعا وقدم عليه مسروراً والثاني كعبد أحضر الى مولاه مأسوراً وقيد الى حضرته مقهورا (الثالث) رتبة رجل بين رتبتين عرف غوائل هذا العالم وكره صحبته لكن أنس به فالفه فسبيله سبيل من ألف بيتاً مظلما قذراً ولم ير غيره فهو يكره الخروج منه وان كان قد كره دخوله فاذا خرج ورأى ماأعد للصالحين لم يأسف بل قال الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الآية ولا يبعد أن يكره الانسان مفارقة شيء ثم اذا فارقه لم يأسف عليه فالصبي وقت الولادة انما يبكي لما يناله من ألم الانتقال ثم اذا عقل لا يتمنى العود اليه

والموت ولادة ثانية يستفاد منهما كمال لم يكن قبل بشرط أن لا يكون قد تقدم من الآفات والعوارض ما أبطل قبول المحل للكمال كما أن الولادة سبب كمال مضبوط لم يكن عند الاختيار بشرط ان لا يكون تمكن فى رحم المرأة من العلل والعوارض ما منع قبول الكمال * ولكون الموت سبب كمال قال بعضهم ينبغي ان يكون دعاؤنا لعزرائيل وشكرنا له كدعائنا لجبريل وميكائيل ولذلك ورد فى الدعاء اللهم صل على محمد وجبريل وميكائيل وملك الموت فان الاولين سببان لاعلامنا بما فيه خلاصنا من الدنيا ونجاتنا فى الآخرة وذلك بواسطة محمد وملك الموت سبب اخراجنا الى ذلك العالم فحقه عظيم وشكره لازم

﴿التنبيه الثالث﴾ قال المجريطي سأل بعضُ الملوك بعضَ الحكماء هل تشتاق النفس بعد الموت الى الجسد وتتمنى عودها اليه فقال ذكروا ان بعض الملوك زوج ابنه واتخذ لحاشيته دعوة حافلة اسبوعا لا يعرفون غير الاكل والغنا والفرح والسرور وكان ابن الملك يقعد فى صدر المجلس وينظر الى ما الناس فيه من الفرح فاذ انام اكثر الناس ومضى شطر اليل قام فدخل حجرة الخلوة فاتفق ليلة انه سكر وسكروا فمشى فى الدار حتى خرج من بابها وخرج من المدينة الى الصحراء فلم يدر اين هو فرأى ضوءًا من بعد فقصده فاذا باب مردود وضوء داخله فدخله فاذا بقوم نيام مطروحين كل واحد ملتف بازار فظن انها حجرة العروس والنيام جواريها فجعل يناديهم فلم يجبه منهم أحد فظن انه لشدة السكر فالتمس العروس بينهم حتى وقعت يده على واحدة أطراهنَّ ثوبا وأطيبهنَّ ريحا فظن أنها عروسه فاضطجع معها فجعل ليلته يقرصها ويمتص لسانها ويتلذذ ولا يرى لذة اطيب مما هو فيه فلما أصبح وأفاق من سكره فتح عينيه فاذا هو في ناووس خراب واذا أولئك النيام جيف الموتى

واذا هو بجنب عجوز ماتت بالقرب وعليها كفن جديد مخيط مبخر والدم والصديد سائل منها وقد تلوث بدنه وثيابه به فهاله ذلك وقام مرعوبا وخرج هاربا متنكرا حتى نزل نهرا فغسل ماعليه ورمى ثيابه ولبس ثيابا نظيفة فهل ترى بعد مانجاه الله من مبيته تلك الليلة فى الناووس يشتاق الى معاودة العجوز المنتنة مرة أخرى قال لا قال الحكيم فكذا حال النفوس بعد مفارقتها للاجسام وصعودها الى ملكوت السماء

هجعت وقد كشف الغطاء فابصرت * ما ليس يدرك بالعيون الهجع

﴿ اللغة ﴾ (الهجوع) النوم ليلا تقول هجع يهجع بفتحتين هجوعا نام بالليل وجاء بعد هجعة أى بعد نومة من الليل وفى نسخة بدل هجعت سجفت تقول سجفت المرأة رفعت السجف وهو الستر الذى يحجبها فى خدرها وفى نسخة سجعت والسجع كلام مقفى تميل النفس اليه (والكشف) رفع الحجاب وعرفا الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعانى الغيبية والامور الحقيقية وجودا وشهودا (والغطاء) الستر وهو مايغطى به وجمعه أغطية من قولهم غطا الليل يغطو اذا سترت ظلمته كل شئ (والابصار) ادراك المبصر بالنور الذي تدرك به الجارحة المبصرات يقال أبصرته برؤية العين ابصارا وبصرت بالشئ بالضم والكسر لغة بصرا بفتحتين علمت فانا به بصير (والادراك) اللحقوق يقال ادركه اذ الحقة والمدرك بضم الميم يكون مصدرا واسم زمان ومكان تقول ادركته مدركا أى ادراكا وهذ مدركه أى موضع اداركه اوزمنه (والعين) تقع بالاشتراك على اشياء مختلفة منها الباصرة كما هنا (والهجع) كركع النيام

﴿ الاعراب ﴾ (هجعت) جواب حتى اذاقرب المسير (وقد) الواو

للحال وقد حرف تحقيق (وكشف) فعل ماض مجهول (والغطاء) نائب فاعل (فابصرت) الفاء حرف عطف وتعقيب وابصرت فعل ماض وضميره المستتر فاعل (وما ليس يدرك) ما موصول مفعول ويدرك المجهول صلته وضميره المستتر عائدالموصول (وبالعيون)متعلق بيدرك (والهجع) نعت العيون

﴿ المعنى﴾ اعلم ان تقرير البيت على رواية سجفت بالفاء ان النفس عند الفراق يزول عنها حجاب البدن فينكشف الغطاء فتدرك مالا يتصور أن تدركه اذا كانت متعلقة به وجعل المتلبسين بالبدن نياما لانهم بتعلق نفوسهم بابدانها محجوبون عن الادراك الحاصل للنفوس المجردة عن الابدان كما ان النائم محجوب عن ادراك ما يدركه اليقظان وقد اخبر تعالى عن هذه الحالة بقوله فكشفنا عنك غطاءك الآية وقول المصطفى الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وعلى رواية سجعت بالعين انه لما كان ارتحال النفس وآن فراقها واتصالها بما تشتاقه من العقول المجردة والتلذذ بالصور العقلية المرتسمة فيها سجعت شوقا اليها وادركت من الصور الكلية المعراة عن المشخصات المادية ما لا يدرك بالعيون الهاجعة لان ادراكها بالآلات البدنية متعذر بل ممتنع على مذهب القوم وعلى رواية هجعت معناه سكنت اوماتت وقد يسمى النوم موتا وعكسه ولا بد من تصوير ذلك فنقول ﴿ النوم ﴾ ترك استعمال الحواس الظاهرة والقاؤها لذلك البدن فى المضجع والتفاتها الي مايخصها من التصرفات بحسب القوة الوهمية او الفكرية فاشترك النوم والموت فى مطلق ترك استعمال آلات النفس لكن الموت ترك كلى مع عدم قبول الاستعمال لتلك الآلة بالكلية والنوم ترك جزئى اي ترك استعمالها من بعض الوجوه مع قبول البدن لذلك فيسمى النوم موتا وعكسه لاشتراكهما فى مطلق ترك استعمال الآلة فاذا سمي

الموت نوما خص بالاكبر والغطاء اشارة الى البدن وما فيه من الاوهام حال تعلق النفس به وكشفه القاؤها اياه في هذا العالم ومفارقتها الى ذلك العالم وسمى غطاء لان النفس وهى فى البدن منغمسة فى عوارضه وعلائقه المادية معرضة عن الالتفات لمطالعة ذلك العالم العلوى فاذا فارقت البدن خلصت من العلائق والقت شائبة العوائق فانحسر عن بصرها الغشاء وانكشف عن بصيرتها الغطاء فابصرت بالعين الحقة والبصيرة المحققة فلاحت لها اسرار الحق على الصفاء وكشف عنها استار الغيب على الوفاء وتحققت انها كانت فى غفلة ورقاد وان هذه الحالة حالة اليقظة وقيام المعاد فادراكها للاشياء لا يختلف ولا يتبدل ولا يزول ولا يتغير لكونه محض الحق وخلاصة الصدق والى ذلك أشار بقوله الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا * فدل على ان معارف أهل الآخرة كلها ضرورية حاصلة بالفعل بلا تعب ومعارف الانسان فى هذا العالم بمعرض الغلط والتزلزل لانه ينظر اليها من وراء حجاب وتتبدل عليه الاشياء من حق الى باطل ومن صحيح الي فاسد وعكسه لانغماره فى عوارضه البدنية وهو المراد بقوله فأبصرت الى آخره شبه العين الباصرة مع مجاورة البدن بالعين النائمة لان أكثر أحوال النائم عقب اليقظة باطلة لكونها مجرد أضغاث احلام بالنسبة الى اليقظة الحسية فحال الانسان فى الادراك قبل المفارقة كحالة النوم بالنسبة لما بعدها

﴿ تنبيه ﴾ فيه توضيح لما تقدم اعلم أن للانسان نشأتين احداهما تسمى الحياة الدنيا والاخرى تسمى الحياة الاخرى أما الاولى فهى كونها مع البدن وارتباطها به واشتغالها بواسطة الارتباط به بالعالم المحسوس وأما الثانية فهي مفارقتها هذا البدن واشتغالها بما يخصها من الصفات الروحانية وقربها إما من اوج الملائكة أو حضيض الشياطين

﴿والموت﴾ مفارقة النفس هذا البدن وتركها استعماله وانتباهها من غفلة الحواس* ونشير الى نبذة من أحوالها بعد المفارقة وكيفية تأثير الاعمال البدنية فى اكتساب الصفات النفسية بقدر ماينكشف قناع الشبهة وذلك بعد تمهيد بيان كمال النفس ونقصها فنقول (كمال كل شئ) ظهور خاصيته التى بها يمتاز عن كل موجود وخروجها من مهواة القوة المستترة الى الفعل التام (ونقصانه) خفاء تلك الخاصية فى وهدة الامكان * فبقدر ماتظهر تلك الخاصية يطلق عليه اسم الكامل وبحسب ماتستتر فيه يخص باسم الناقص* ثم الاعزاز والاهانة تابعان للكمال والنقصان ومن اللائح ان خاصية الانسان التي امتاز بها عن غيره أن يدرك العلوم الكلية الحقيقية بحيث يرتفع عن بصيرته حجاب الشك ويتيقن حقائق الامور منكشفة الجلابيب عن ثمراتها فان الظن لا يغني عن الحق شيئا ويكون كريم الاخلاق أى تكون القوة الفكرية والغضبية والشهوية وما تركب منها منقادة لنواهيه وأوامره مذعنة لحوامله وزواجره فتكون فيه القوة العاقلة التى هى حجة الحق على الخلق مسلطة بالعدالة على القوة الهيكلية لا ان تكون القوة العالية العاقلة مسخرة للقوى البدنية السفلية * فان الانسان اذا كان متقن العلوم صادق الفهوم قادرا على ضبط القوى الجسمانية كان محفوظا بكماله اللائق به ثم كماله فى العلوم يترجح بترجح المعلوم فى جانبي النقص والكمال * وكذا كماله فى الاخلاق يتفاوت بالقرب من خاص الاعتدال ثم يليه كون هذا الكمال سبباً للبهجة والراحة * وأما كيفية كون النقصان موجباً للكآبة والارتماض فمكشوفة عند اخوان النظر وأرباب الفكر فكيف يشك عاقل فى التذاذ نفس تطهرت من قاذورات الطبيعة التى تميلها الى الجانب السافل الحسى المخرج لها عن خواص فعلها الذي هو مقتضى ذاتها وهو ادراك

الحقائق الكلية والانخراط فى زمرة الارواح المناسبة لحقيقتها وذلك ثمرة حسن الخلق الذى معناه التبرؤ عن الافراط والتفريط فى المرغوبات الجسمانية * وأما نقصان الانسان فمعلوم من كونه مضادا لكماله وهو الجهل وسوء الخلق فيكون أعمى البصيرة مطيعا للقوى البدنية فى أحد الطرفين الافراط والتفريط واذا فارق البدن وهو بهذه الحالة يكون معذبا لان محبوباته كانت منحصرة فى الجسمانيات وقد حيل بينه وبينها بانقطاع العلاقة بينه وبين آلة شهواته ومدركاته المخصوصة به والمعانى المجردة مستورة عنه لعمى بصيرته فيقع الانسان في ظلمة لانها عبارة عن عدم النور عما يمكن أن يستنير وكانت النفس يمكنها أن تستنير بنور الحق فتطالع حقائق الاشياء مستمدة من النور الازلى أى العلم الالهي وقد أخطأها ذلك * ثم الهيئات المحببة للذائذ البدنية الراسخة فى ذات النفس تدعوها الى طلب مواصلة المحبوب المقصود فتؤذيها غاية الايذاء وهي العقارب والحيات الروحانية * وهذا العذاب الروحاني الذى يهدى اليه العقل وكذا اللذة الروحانية المشار اليها أقوى من اللذة والعذاب الجسمانيين اللذين أثبتهما الشارع * واذا تبين معنى الكمال والنقصان نقول ان النفس لذاتها مهيأة لقبول العلوم الحقيقية عن الملا الاعلى وانما يحول بينها وبين تلك العلوم الاشتغال بمصالح البدن والانهماك فى اللذة الحسية فالنفس اذا كانت قاهرة للقوى البدنية غير غافلة عن تسخيرها لم تقدر القوة الجسمانية على منعها عن عالمها فتكون دائمة الاستفادة من جانب الملكوت وبقدر زيادة علمها تزداد مشابهتها لذلك العالم وبقدر زيادة المشابهة ترتاح للوصول الى الملا الاعلى * فظهر ان الهيئة الانقيادية فى البدن بالاوامر والنواهى مستلزمة للهيئة الفاعلية فى النفس بالتبعية للبدن وتلك الهيئة الفاعلية هى الخلق الحسن

والهيئة المنفعلة في النفس لقبول صور الحقائق عن الملكوت مستلزمة لحصول العلوم الحقيقية لها وكذا الهيئة الفاعلية فى قوى البدن أي كونها مسخرة (بالكسر) للنفس فى متابعتها لتحصيل الشهوات موجبة (بالكسر) للهيئة الانقيادية فى النفس استلزامها الاعراض عن العالم العلوى والتبعية لها فى جهلها الغريزى المستلزم لمحبة الجسمانيات المعذبة لها بعد المفارقة

﴿ثم اعلم﴾ ان مباشرة النفس للاحوال البدنية هى التى تكسبها هيئة السعادة والكمال أو تكسوها لباس الشقاوة والوبال وان لكل فعل من الحواس تأثيراً فى كل من الهيئتين وان لم يشعر به الانسان حال حياته الجسمانية ينكشف له عند حياته النفسانية فيشاهد عند خلع الجسد ثمرات أفعاله من مسعداتها ومشقياتها والى مشاهدة تأثير جميع الافعال فى النفس يشير قوله تعالى من يعمل مثقال ذرة الآية وقوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * وكأن نفس الانسان كتاب محفوظ فيه أرواح أفعاله وهي الهيآت الحاصلة منها وانما يقرؤه الانسان بعد الموت لتنبهه حينئذ من رقدة الغفلة ورجوعه الى أحوال ذاته بعد أن كان مشتغلا بأحوال البدن مشغوفاً باصلاحه وتربيته وكما أن الانسان النائم يرى صوراً وهو غافل عن معناها فاذا انتبه ووقع ذلك المعنى المصور بصورة الاحلام علم معنى تلك الصورة النومية فكذا الانسان حال الحياة الدنيا غافل عما يفعله من البر والآثام وانما حظه من تلك الامور ظواهرها وهو غافل عن أرواح تلك الافعال وهى جعل النفس سعيدة أو شقية بأنواع السعادة والشقاوة فيظهر للنفس بعد الموت تأثير تلك الافعال فتتصور عبادته لربه صوراً حسنة تؤانسه وعصيانه له صوراً قبيحة توحشه فيتنعم بالاولى ويتأذى بالثانية ﴿انما هى أعمالكم ترد عليكم﴾

فترقيه الاولى الى فضاء السموات وعالم الملكوت ومنازل الارواح الطاهرة فيرى هنالك من النعيم الأبدي والابتهاج السرمدي مالاعين رأت وتحط بالثانية الى هاوية الجحيم وهي عالم الارواح الناقصة المظلمة المقيدة في عالم الطبيعة فان تمحضت الاولى فقد فاز فوزاً عظيماً * وان تمحضت الثانية فقد خسر خسراناً مبيناً * وان اجتمعا وهو الاكثر فالحكم فى العاقبة للغالب

وغدت تغرد فوق ذروة شاهق * والعلم يرفع كل من لم يرفع

﴿ اللغة ﴾ (التغريد) التطريب بالصوت يقال غَرِد غَرَدا من باب تعب اذا طرّب في صوته وغنائه كالطائر وغرّد تغريدامثله (وفوق) ظرف مكان نقيض تحت نحو زيد فوق السطح ثم استعير للاستعلاء الحكمي (والذروة) بتثليث أولِه المعجم من كل شئ اعلاه (والشاهق)العالى واراد بذورة الشاهق العالمَ الروحانى وبالفوقية مطلق العلو

﴿ الاعراب ﴾ (وغدت) الواو للعطف وغدت فعل ماض ناقص معطوف على هجمت واسمه المستتر (وتغرد) الخبر (والعلم يرفع) الواو للاستئناف والعلم مبتدا ويرفع فعل مضارع مبنى للمعلوم وفاعله مستتر فيه تقديره هو والجملة في محل رفع خبر (وكل) مفعول مضاف (ومن) مضاف اليه اسم موصول بمعنى الذى (ولم يرفع) صلته والمستتر عائده

﴿ المعنى ﴾ يريد أن النفس لما تخلصت من البدن وفارقته تجردت معقولا صرفامبرأة عن مقتضيات البدن الجاذبة الى اسفل فاتصلت بالروحانيات وغردت سروراً بحصول ذلك الاتصال والخلاص من الداء العضال اذ التغريد انما يستعمل عند هجوم فرحة أو زوال ترحة فمقصود البيت الاشارة الي حصول كمال النفس بعد مفارقة البدن فانها فازت بالمقاصد الكلية وحصلت على أتم

الحالات العلوية وانفردت بمجالسة الاحباب ومؤانسة الاصحاب رائعة في رياض تلك الازهار كارعة من زلال تلك الانهار مغردة فى شواهق تلك الاغصان بضروب الالحان ووصفه بكونه شاهقاً مبالغة فى ارتفاعه وهو استعارة لرفعة منازلها وسموّ درجاتها ملاحظا ما تقدم من تشبيهها بالحمامة اذ من صفاتها التغريد والاستعلاء على الاشجار * ثم احتج الناظم على قوله بالدليل كانه قيل له بم ارتفعت فقال بالعلم فانه يرفع كل من لم يرفع أى من لم يكن رفيع القدر عالى الذكر لان الترقى من العقل الهيولانى الذى هو بداية النقصان الى العقل المستفاد الذى هو نهاية الكمال يصير النفس كاملة فهو اشارة الى أن حصول تلك المنازل الرفيعة انما هو باكتسابها للعلوم الحقية وتخلقها بالاخلاق المرضية والمنازل هي الثمر والعلم هو الشجر وفيه ايماء الى ان الزاهدين والعارفين وان كانوا في هذه الدار خاملين محتقرين فهم فى الآخرة خواص رب العالمين *وفيه حث على تعلم العلم وتعليمه ورفض الكسل والتوانى والاجتهاد فى التحصيل فقد قال سقراط من خاطر بالنفس ظفر بالنفيس * ومن اطمأن بالكسل حرم العسل ومن استوطن الراحة لم يملا الراحة والخوض في الشدائد طلباً للتفريج من شأن العقلاء والسهر فى طلب العلم مفاتيح أبواب العز

فلأي شيءٍ أهبطت من شامخ * عال الى قعر الحضيض الاوضع

﴿ اللغة ﴾ الشامخ العالى يقال شمخ الجبل يشمخ بفتحتين ارتفع فهو شامخ وجبال شامخة وشامخات وشوامخ ومنه قيل شمخ بانفه اذا تكبر وتعاظم وحينئذ فقوله (عال) تأكيد وايراده للمبالغة فى العلو وفي نسخة سام بدل عال وهو بمعناه (وقعر) الشيء نهاية أسفله وجمعه قعور كفلس وفلوس ومنه جلس فى قعر بيته كناية عن الملازمة (والحضيض) القرار من الارض

عند منقطع الجبل وروى في حديث ان شخصاً أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مأكولا فلم يجد مايضعه عليه فقال ضعه على الحضيض فانما انا عبد آكل كما يأكل العبد أى ضعه على الارض (والاوضع) الاخفض من وضع فلان اذا انحط قدره وذل ووضع في خسة بالبناء للمفعول فهو وضيع أى ساقط لاقدر له والاسم الضعة بفتح الضاد وكسرها ومنه قيل وضع فى تجارته وصنعته اذا خسر واراد بالحضيض الاوضع عالم الاجسام فانه بالنسبة الى العالم العقلى منحط الرتبة جدا خسيس

﴿ الاعراب ﴾ (فلأى شئ أهبطت) الفاء فاء الفصيحة أى اذا عرفت انها هبطت على كره ويكون ذلك بالاهباط فاقول لك لاى شئ أهبطت والباقى ظاهر

﴿ المعنى ﴾ هذا البيت شروع فى السؤال عن الحكمة الباعثة لتعلق النفس بالبدن وانتهاء سؤاله عند قوله وهي التى قطع الزمان طريقها * وقول الشارح انه من هنا الى آخر القصيدة مشتمل على السؤال المذكور رد بانه لادخل لما ذكره بعد ذلك فى السؤال أصلا وأشار بالبيت الى انه تعالى انما ضرب الهبوط على النفس وألزمها بالمقام فى هذا العالم لتكتسب الكمال الانسانى وتتشبه بأرباب العالم الروحانى وهى وان كانت بسيطة الجوهر جليلة الصفات لكنها فى أول الفطرة جاهلة جهلا ساذجا غافلة عما يضرها وينفعها ولوحها فى تلك الحالة كدر وسطح مرآتها مظلم لكنه قابل للتنور والصفاء سريع الكشف والانجلاء

(ومن القضاء والقدر الالهي) انها لاتكمل الا ان تعلقت بذلك البدن وتضرب تلك الآلات في اقتناص الجزئيات المحسوسة أولا وتخزنها فى الخزائن

البدنيـة ثانياً ثم تعمد فتقصر صفوها ولبابهـا بالقوة الفكرية ثالثاً فتحصـل بالعلم بالكليات القانونية على ماتحتها من الجزئيات واحداً واحداً رابعاً وهكذا حتى يفضى بهـا ذلك الى العلم بما في الحضرة القدسية والـكرة المحيطة الفلكية بحسب ما فى قواها من الامكان وما قدر لهـا الرحمن ثم تعود الى عالمها على غاية الصفاء فتنزل منازل الابرار وتتأهل لجوار الواحد القهار

﴿ وقد ثبت ﴾ لدى الحـكماء أن جوهرا يسمى النفس الناطقة وأن فى العالم العلوى عقولا عاشرها يسمى العقل الفعال ينتقش بما فى العالم من العلوم وما كان ويكون وتلك العلوم حاصلة له بالفعل ويسمى ذلك العقل الفعال بالعلة الفاعلة ويسمى جوهر النفس بالعلة القابلة وتلك العـلة الفاعلة المنتقشـة بجميع الصور كالمرآة العلوية والنفس الناطقة كالمرآة السفلية لخلوها عن جميع الصور مع قابليتها لحصولهـا

﴿ العقل ﴾

وينقسم العقل عند أهل المعقول الي نظرى وعملى

﴿ فالعقل النظرى ﴾ قوة للنفس بها تكتسب العلوم النظرية اما من الضروريات أو من النظريات المنتهية الى الضروريات ومراتب العقل من ذلك القابل متفاوتة فاذا تعلقت النفس بالبدن فهى حينئذ خالية عن الصور الـكلية لـكنها قابلة لهـا فتسمى عقـلا هيولانيا أى قابلا لحصول صورة ما كليـة وهو بمنزلة استعداد الطفل للـكتابة * فاذا استعملت تلك الآلة فى الجزئيات المحسوسة الشخصيه تأهلت لأن يفاض عليها من العلة الفاعلية صور الاوليات الـكلية التى بها يكون الانسان عاقلا فاذا أفيض عليها ذلك سميت عقلا بالملكة اى لهـا ملكة الانتقال بواسطة تلك الاوليات الى النظريات وهو كاستعداد

الامّى لتعلم الكتابة * وهذا العقل ان كان متوقد المصباح سريع التحصيل للنظريات زيد فى تسميته بانه عقل قدسى * ثم اذا حصل مع تلك الاوليات النظريات لا على انها حاصلة بالفعل بل بمعنى انه متى شاء التفت اليها فيستحضرها من غير تجشم كسب جديد سمى عقلا بالفعل اشدة قربه من الفعل وهو كاستعداد القادر على الكتابة حال كونه غير ملتبس بها وعند ذلك يتأهل لقبول الانتقاش الكلى بالفعل عن تلك المرآة العلوية فاذا حصل له تلك العلوم المنتقشة فى تلك المرآة بالفعل حتي يصير كانه هو فى الاحاطة بكل العلوم سمى عقلا مستفاداً وهو كتلبس القادر على الكتابة بالكتابة ﴿ فهنا ﴾ أربع مراتب العقل الهيولانى * ثم العقل بالملكة * ثم العقل بالفعل * ثم العقل المستفاد (والعقل العملى) قوة للنفس هى مبدأ تحريك القوة الشوقية الى ما يختار من الجزئيات من أجل غاية معلومة او مظنونة او موهومة

﴿ واما العقل فى العرف العام ﴾ فهو يقال لصحة الفطرة الاولى فى الانسان فيحد بانه قوة بها التمييز بين الامور الحسنة والقبيحة * ويقال لما يكتسبه الانسان من التجارب من الاحكام الكلية فيكون حده انه معان مجتمعة فى الذهن تكون مقدمات يستنبط بها المصالح والاغراض * ويقال للحالة الادبية وحده هيئة محمودة للانسان فى حركاته وسكناته واختياره

﴿ واذا ثبت هذا فقد عرف بالتجربة الحسية ان انتقاش المرآة بالصورة انما يحصل من مقابلة تلك المرآة لتلك الصورة وان كان يختلف الانتقاش بالصفاء والخفاء بحسب جواهر تلك المرائي وما فيها من قوة الاستعداد وضعفه لكن لابد من المقابلة حتى تنتقش المرآة بتلك الصورة وحينئذ يلزم وجوب الالتفات الى الجهة العلوية لتكون النفس الناطقة مقابلة بوجهها لوجه ذلك

الجوهر العلوى فيحصل الانتقاش فان التفتت للجهة السفلية حرمت ذلك الانتقاش والنور من ذلك العالي لانها على عكس المقابلة بل هي منقلبة الوجه عن جهة الحق الى الخلق وهذا هو الذي أوجب زهد الاولياء والحكماء ورفضهم الدنيا والاقبال على أسباب الآخرة واقتصروا على قوام الحياة ودفع الحاجة ومن ذلك يخرج الجواب عن السؤال وينزاح الاشكال

﴿ تنبيه ﴾ قد سبق الناظم الى هذا السؤال غيره وأجابوا عنه في المحصل للامام الرازى بعد مانقل عن الحرورية القائلين بقدم النفس مانصه أما النفس فانها تفيض عنها الحياة فيض النور عن قرص الشمس لكنها جاهلة لا تعلم الاشياء مالم تمارسها وكان الباري تعالى عالماً بأن النفس ستميل الى التعلق بالهيولى وتعشقها وتطلب اللذة الجسمية وتكره مفارقة البدن وتنسى نفسها ولما كان شأن الباري تعالى الحكمة التامة عمد الى الهيولى بعد تعلق النفس بها فركبها ضروباً من التراكيب على الوجه المؤلم ثم أفاض على النفس عقلا وادراكاً وصار ذلك سبباً لتذكر عالمها وسبباً لعلمها بأنها مادامت في العالم الهيولاني لاتنفك عن الآلام واذ عرفت النفس ذلك وعرفت ان لها في عالمها اللذات الخالية عن الآلام اشتاقت الي ذلك العالم وعرجت بعد المفارقة وبقيت هناك أبد الآبدين فى نهاية البهجة والسعادة * قالوا وبهذا الطريق زالت الشبهات الدائرة بين القائلين بالقدم والحدوث

﴿ ثم قال ﴾ وبقى علينا سؤالان (الاول) ان يقال لم تعلقت النفس بالهيولى بعد ان كانت غير متعلقة بها (الثاني) هلا منع الباري النفس عن التعلق بالهيولى (وقد أجابوا عن الاول) بأن هذا السؤال غير مقبول من المتكلمين لانهم يقولون القادر المختار قد يرجح أحد مقدوريه على الآخر من غير

مرجح سوى ارادته ذلك فهلا جوزوا ذلك في النفس * وغير مقبول أيضا من الفلاسفة لانهم جوزوا فى السابق أن يكون علة معدة للاحق فهلا جوزوا ان النفس وان فرض انها قديمة لها تصورات متجددة غير متناهية ولم يزل كل سابق علة للاحق حتى انتهت الى ذلك التصور الموجب لذلك التعلق (وأجابوا عن الثانى) بأن الباري علم أن الاصلح للنفس أن تصير عالمة بمضار هذا التعلق حتى انها بنفسها تمتنع عن تلك المخالطة * وأيضاً فالنفس لمخالطتها الهيولى تكتسب من الفضائل العقلية مالم يكن موجوداً لها فلهذين الغرضين لم يمنع البارى تعالى النفس عن التعلق بالهيولى الى هنا كلام الامام الرازي * وقال الراغب الحكمة في خلق الله من يعلم انه يكفر وتكليفه اياه الايمان الناس وقعوا فى هذه المسئلة فى تخليط وصارت شبهة لهم عظيمة * فقال بعض المتكلمين هذا سؤال فاسد لانه لا فرق بين النفع والصلاح ومحال ان يوصف المعدوم بالنفع وماقالوه كلام يدفع الخصم بالجدال وليس فيه مقنع لمن طلب لدائه الدواء * وقال قوم خلق الله اياه ليعرض به للخير الابدى * قالوا وهذا قصد صحيح وان أفضى ببعض الناس الى مكروه لسوء اختياره وليس هذا ايضا بمقنع فالعالم بالعواقب يصح ان يفعل فعلا قاصدا به خيرا مع علمه بأن لا يحصل مقصوده كمن زرع فى أرض سبخة مع علمه انها لا تنبت * وقال قوم لما كان الله هو الملك الحق فله ان يفعل في ملكه ما يشاء لا يسأل عما يفعل قالوا ولا يصح اعتباره بالشاهد فان مالك العبد فى الشاهد هو مالك لمنافعه فى الحقيقة دون غيرها * وقال بعض الحكماء في ذلك ان الصلاح والفساد والخير والشر فى العالم لا تعتبر فى الجزئيات بل فى الكليات وليس فى العالم شر مطلق بوجه بل كل شر فيه فهو بالاضافة فكل فساد لشئ فهو صلاح لغيره * قال وقد ثبت انه

تعالى حكيم ولا يفعل بعباده الا ماهو الأصلح وثبت انا نجهل اكثر حكمه قال تعالى فى حق الانسان انه كان ظلوما جهولا وخلق الانسان ضعيفا والله يعلم وانتم لاتعلمون وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم * واذ قد عرفتْ هذه الاصول فحق العاقل أن يذعن فيما يجهله للاعتراف بحكمته تعالى ويتهم نفسه فى قصوره عن ادراك حقيقتها ولا يحكم على الحكيم بالحزر والتخمين والظن فقد قال تعالى فى ذم من يحكم بذلك ان يتبعون الا الظن * وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز وكان قد سأله عن مسألة من هذا الجنس اعلم ان الله لا يطالب العباد بما قضى وقدَّر لكنه يطالبهم بما نهى وأمر فطالب نفسك من حيث يطالب ربك ودع مالا يعنيك والسلام الى هنا كلام الامام

﴿ وقال ﴾ فى موضع آخر مما يصعب جدا الوقوف على حكمة الله فى معاقبة المذنبين فى القيمة وذلك ان المعاقب فى الشاهد لا يعاقب الا لاحد وجوه ثلاثة * اما قصد أن يردع المعاقَب عن معاودة ماارتكبه من الذنب * واما نكالا لغيره لئلا يتعاطوا ما تعاطاه * واما تشفيا من غيظ يداخله على من ارتكب الذنب وقد علم أن الآخرة ليست بدار تكليف فيظن ان هذا المرتكب للذنب يعاوده او يقتدى به غيره والبارى تعالى منزه عن دخول الغيظ عليه وعن طلب التشفى انتهى كلامه ولذلك كله قال الناظم

ان كان أهبطها الاله لحكمة * طويت عن الفذ اللبيب الاروع

﴿ اللغة ﴾ (الحكمة) العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والانجيل والعاقبة الحميدة للشىء والمراد من الحكمة هنا الاخير وهو الباعث للانسان على فعله او للحاكم على حكمه كما يقال ماالحكمة فى ايجاب الزكاة فى المال

الزكوى فيجاب بانها سد خلة الفقراء (وطويت) هنا بمعنى اشتبهت وخفيت على سبيل المجاز (والفذ) الفرد المتميز بقوة الادراك والعقل الذى لا مثل له فيما نسب اليه من الحرف (واللبيب) العاقل الكامل (والاروع) الذكى الادراك * وفى نسخة خفيت بدل طويت وفى نسخة بدل الفذ الفطن

﴿ الاعراب ﴾ (ان) حرف شرط جازم (وكان) فعل ماض ناقص فى محل جزم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر يعود على الاله (وأهبطها) فعل ومفعول (والاله) فاعل أهبط وقد تنازعه كل من كان واهبط وأعمل الاول فى ضميره على رأى البصريين أو يكون الاله اسم كان ويقدر لاهبط ضمير على رأى الكوفيين والجملة فى محل نصب خبر كان (ولحكمة) متعلق بأهبط (وقوله طويت) قال الشارح السمرقندى جواب الشرط يعنى قوله ان كان وتعقبه السمنانى بانه سهو فاحش ولحن ظاهر ثم قال الصواب ان طويت فى محل جر على انه صفة لحكمة والكلام ما تم وجواب الشرط قوله فهبوطها لاشك الخ الآتى

﴿ المعنى ﴾ يريد ان كان الاله أهبطها لحكمة خفيت عنا واشتبهت على العقلاء بحيث لا يهتدى اليها الخ وتمة الكلام قوله

فهبوطها لاشك ضربة لازب * لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية * في العالمين فخرقها لم يرفع

﴿ اللغة ﴾ (اللازب) اللازم الثابت يقال لزمه الشيء ضربة لازب اى لا ينفك عنه البتة وهو أفصح من لازم قال الزمخشري ومن المجاز ماهذا بضربة لازب والمراد أن هبوطها أمر لازم وحتم مقضيّ اوجبه الحكيم

الاقدس لما يترتب عليه من الفوائد الجليلة والفضائل الجميلة (والسمع) قوة مودعة فى مقعر الصماخ يدرك بها الاصوات وذكره دون بقية الحواس لانه اعونها على تحصيل الفضائل سيما فى الملا الاعلى المشتمل على صريف الاقلام وصرير الافلاك التى وضعت الموسيقىَ على نحوها ولأن كل حاسة هناك مؤخرة بالنسبة الى السمع اذ الابصار يحجب بالانوار والذوق بالشوق والشم بتمام البساطة واللمس بذهاب الكيفات (والخفية) بمعنى المخفية (والخرق) الثقب المستدير (وقوله فخرقها لم يرقع) ماخوذ من المثل السائر اتسع الخرق على الراقع اى جاوز الشر والفساد حد الاعتدال فى مأربها بحيث لا يرجى صلاحه ولا يمكن اصلاحه

﴿ الاعراب ﴾ (فهبوطها) الفاء واقعة فى جواب الشرط لكونه جملة اسمية وهبوط مبتدا مضاف والضمير مضاف اليه يعود الى النفس (ولا شك) اللام نافية للجنس وخبرها مقدر اى موجود فيه (وضربة) بالرفع خبر المبتدا مضاف (ولازب) مضاف اليه (ولتكون) اللام للتعليل والمعلل كون هبوطها ضربةَ لازب أى لازما وتكون فعل مضارع ناقص واسمها المستتر يعود على النفس (وسامعة) خبرها (ولما لم يسمع) متعلق بسامعة واللام للتقوية (وتعودَ) الواو للعطف وتعود بالنّصب عطف على لتكون واسمها المستتر (وعالمة) خبر تعود (فخرقها) الفاء فاء الفصيحة وخرق مبتدا (ولم يرقع) بالبناء للمجهول وجملته فى محل رفع خبر المبتدا ﴿ وفى نسخة فهبوطها ان كان ضربة لازب وحينئذ يكون ضربة بالنصب خبر كان واسمها المستتر يعود لهبوط والفاء فى فخرقها واقعة في جواب الشرط لكون الجواب جملة اسمية وجملة فخرقها لم يرقع جواب الشرط وقد سد الشرط وجوابه مسد خبر فهبوطها

﴿ المعنى ﴾ ان النفس الناطقة كان هبوطها وتعلقها بالبدن على طريق اللزوم لتسمع مالم تكن سامعة له من مبادى العلوم وأصولها بواسطة الحواس الظاهرة والباطنة وتصغى الى الالحان وقسمة الاصوات فتعلم انها جزء من صرير الافلاك الشريفة فتستدل بها على عظمة صانعها وتفرّدِهِ بالوحدانية وتعود عالمة بالاسرار الخفية في العالمين بفتح الميم عالم الغيب والشهادة أو البساطة والتركيب أو العقول والنفوس أو العالم العلوي والسفلي أو الافلاك والعناصر أو الكون والفساد أو المدرك ومالا يدرك * وفى نسخة بكسر الميم اى ما سوى الفياض الاول وأراد بقوله نخرقها لم يرقع انها لو حصلت العلوم قبل المفارقة فمقصودها لم يحصل لان الكمالات العقلية غير متناهية ولا يمكن حصولها للنفس فى مدة الحياة وان لم تحصل العلوم فمقصودها لم يحصل لبقائها فى الجهل * أو لان اكثر النفوس تفارق أبدانها بدون تحصيل الكمال المطلوب فيفوتها الكمال والسعادة الاخروية التى تحصل لمن حصل على العلوم وتعلم انها لم يبق لها طريق الى اكتساب الكمال اذا فارقت ولم تكتسب ما به تكمل سيما وهى عالمة بانه لا سبيل الى العود وهذا هو سبب شدة الاسف فانها كلما عرفت قدر مافات ورأت انها قصرت وان العود لاكتساب الكمال محال اشتد التلهف وفى الحالات الثلاث هى صالحة لان يضرب لها المثل المشهور اتّسعَ الخرق على الراقع

﴿ وحاصل السؤال ﴾ المتقدم انا قد علمنا هذا الهبوط والسريان والخروج والحكيم تقدس لايفعل شيئاً الا لحكمة بحيث لم يكن ذلك عبثاً فلأى شئ هبطت من الاعلى للادنى واعتاضت بالفانى عن الباقى واختلطت بالظلمة مستبدلة بها عن النور العجيب والخير الكامل * والسؤال عن النوع

لاعن الشخص فكأن الناظم يقول مرادنا ايضاح تلك الحكمة فان النفس لم تمص بمدحتى يقال أنزلها عقوبة * ولاهى غريبة من اللطائف التى انبجست عنها فيقال طهر الامكنة الرفيعة منها * ولا تعشق بينها وبين ما انتهت اليه فيقال حملها على ذلك الاشتياق* ولا بينهما جاذبية مغنطيسية الى غير ذلك مما يمكن ان يقال (وحاصل ما أجيب به) أنها اهبطت فتعلقت بالهيكل لتكمل بواسطته ان كانت من أهل الجد والاجتهاد فاذا حق التفريق كانت بما اكتسبت أهلا لمخالطة الارواح الفاضلة والعود الى مألفها من حيث أخذت ممتزجة بالرفيق الاعلى ﴿ واعترض ﴾ بانه يلزم عليه أن يجب لكل نفس تعلقت ببدن أن لا تفارق حتى تتكمل وفساده بين ثم ان كانت من الملاء الأعلى فكيف تكون ناقصة وقد فرضتموه كمالا محضا وخيرا صرفا وما نحن فيه اما بالضد أو ممتزج وكلاهما لا يعطى تكميلا وبأن اللطائف ان كانت لا تتكمل الا اذا تعلقت بالكثائف فيجب ان يتعلق سائر الروحانية بالاجسام الكثيفة وهو محال وسيجيء الجواب فى شرح قوله الآتي أنعم برد جواب ما انا فاحص

وهي التي قطع الزمان طريقها * حتى لقد غربت بغير المطلع

﴿ اللغة ﴾ (الزمان) مقدار حركة الفلك الاطلس (والطريق) مكان المرور من محل الى محل يذكر فى لغة نجد وبها جاء القرآن ويؤنث فى لغة الحجاز (والغروب)البعد والتوارى يقال غربت الشمس تغرب غروبا بعدت وتوارت فى مغيبها والمراد به هنا انقطاع التعلق (والمطلع) موضع الطلوع من المكان المرتفع الى المنخفض والمراد هنا التعلق بالبدن

﴿ الاعراب ﴾ (وهى) الواو للحال وهى مبتدأ (والتى قطع الزمان

طريقها) الموصول وصلته فى محل رفع خبر المبتدا اذ التقدير المقطوعة الطريق (وحتى) ابتدائية على مذهب الجمهور وحرف جر على مذهب الاخفش وابن مالك والتقدير على الاول حتى غروبها متحقق بغير المطلع وعلى الثانى قطع الزمان طريقها الى تحقق غروبها بغير المطلع

﴿ المعنى ﴾ يقول انما كان مراد النفس تحصيل مأربها من الارتسام بالصور العقلية وتلك أسرار الموجودات الكائنة من الازل الى الابد لكن الزمان قطع طريق مطلبها التى كانت ماشية اليه راجعة فى التحصيل والتعويل عليه بهلاك البدن الذى هو آلتها فى تحصيل المطالب فان تكرر الازمنة والحركات يضعف القوى البدنية ويحللها ويفضى بها الى الاندراس بحيث تختل احوالها ويحل التركيب الجسمانى آخر الامر وهناك يشتد الاسف والتحرق حين تحقق العدم بالتفرق وتستدعليها الطرق والمذاهب حتى انها لشدة ماتقاسى من الاهوال وتشاهده من تيقن انحلال الاحوال لم يكن لها شغل الا التأهب للخروج منه وقد اشرف على الفساد وآل أمره الى انقطاع الاسباب وانقلاع الاوتاد فتعود كاسفة الانوار مستوحشة بعد الانس فى تلك الديار قد ردت الى الوبال وذهبت لكن لا من حيث طلعت وغربت لكن لا من حيث أشرقت ودنت بعد الشرف الى الهبوط ومن أوج المعالى الى حضيض السقوط قد نزعت منها الطبيعة ماوهبته وتوازعت أيدى البلى ما جمعته وفرق الخلا بينها وبين ما احكمته فليت شعرى اذا انكدرت النجوم وتناثرت الكواكب وطويت السماء وسدت المذاهب ما حيلة العقل حتى يستقل بالتثبت وأى قدرة للحواس التى تقطعت اوصالها وتغيرت أحوالها ﴿ وغروبها بغير المطلع ﴾ انفصالها بصفة لم تكن وقت التعلق وذلك انها فى حين التعلق كانت ساذجة لاتعرف الكمال

ولا النعيم ولا العقاب فلا تأسف على فوات الاولين او نقصهما ولا تخاف من الاخير وأما في حال الانفصال فانها علمت ذلك فقد غربت بغير المطلع

﴿ والمعنى على نسخة بعين المطلع انها انفصلت كما اتصلت على حد *ثم ماسلم حتى ودعا* يرشد الى ذلك البيت الآتي فكأنها برق الخ

فكأنها برق تألق بالحمى * ثم انطوى فكأنه لم يلمع

﴿ اللغة ﴾ (البرق) واحد بروق السحاب (وألق البرق) وائتلق وتألق لمع (وقوله ثم انطوى) من الطي والمراد به هنا الخفاء والانطفا

﴿ الاعراب ﴾ (فكأنها) الفاء للاستئناف (وبرق) خبر كأنّ (وتألق بالحمى) نعت برق (وفكأنه) الفاء للاستئناف والباقي ظاهر

﴿ المعنى ﴾ يعني ان النفس عند فراق البدن تكون كأنها لم تصحب البدن قط فكأنها لم تكن وشبه مدة اتصالها به بظهور البرق واختفائه في قلة الزمان وسرعة انقضائه واذا خلصت من البدن نسبت في الامتداد الزماني من الازل الى الابد فمدة الاتصال لا تكون قدرا يعتد به وما مآله الى العدم فهو في حكم المعدوم كما قال المتنبي

نصيبك في حياتك من حبيب * نصيبك في منامك من خيال

﴿ وفي تعبيره بالطي لطيفة فلسفية ﴾ يشير بها الى ماقاله المعلم الاول يا فيض الكل انهيت فرد كلا الى أصله * وقال سقراط حين شرب السم اخاص اخاص يا كثيف واصعد يامن لم يقبل الادناس * وقال فيثاغورس الملك واحد والحياة عنه والاقسام اثنان وكل ما خرج من شيء عائد اليه * وقال افلاطون في مناجاته يابحر الفيض امطرت فكان الطين ثم جففت فاخذت ماءك * وقال قواس ياشمس النور صعدي مامزجت * وقال وديمارطيس اللهم اشهدني

يوم التصعيد الذى لا تقطير بعده * وقال السهروردي يانور الانوار فرق وارفع * وقال المعلم الثانى ماهذا التنافس في المركز على ماهو عليه من الضيق والحاجة ومايلزم من الضرورات فى السفر يامفيض خاص

أنعم برد جواب ماانا فاحص * عنه فنار العلم ذات تشعشع

﴿ اللغة ﴾ أنعم من أنعم عليه أي أوصل عليه نعمة (والفحص) الاستقصاء فى البحث والتفتيش يقال فحصت عن الشئ وتفحصت استقصيت فى البحث عنه فالفاحص هو الباحث عن الشئ بغاية الاستقصاء البالغ فى سلوكه ليصل الي كنه حقيقته (ويقال تشعشعت النار) اظهرت شعاعها وارتفعت

﴿ الاعراب ﴾ (أنعم) فعل أمر وفى نسخة فانعم بوصل الهمزة لضرورة الوزن (فنار) الفاء للاستئناف ونار مبتدا وذات تشعشع خبر

﴿ المعنى ﴾ يقول عليك باتيان الجواب عما سألته وهو انزالها للوصول الى الكمال ثم فصلها قبل ان تصل

﴿ وأجيب ﴾ بان الغرض من اتصال النفس بالبدن تحصيل المطالب التى يمكنها تحصيلها من الاطلاع على حقائق الاشياء بقدر مايمكنها لان النفس فى مبدإ الفطرة خالية عن جميع المعقولات ولذلك سميت فى تلك الحالة بالعقل الهيولانى كما مر لشبهها بالهيولى الخالية عن جميع الصور المستعدة لها فانها مستعدة لاكتساب المطالب العقلية قابلة للارتسام بالصور القدسية لكنها متفاوتة فى ذلك وهي مع ذلك على أربع مراتب (احداها) مرتبة الفائزين بالمطالب العقلية والكمالات البشرية من معرفة الصانع والوقوف على حقائق الاشياء بقدر الطاقة البشرية (الثانية) مرتبة النفوس التى لم ترتسم فيها المطالب ولا اضدادها وهم في سعة من رحمة الله واليهم أشار المصطفى بقوله أكثر

اهل الجنة البله * وقال الناظم البله اذا تنزهوا خلصوا من البدن الى سعادة
تليق بهم * وقال البلاهة ادنى الى الخلاص من فطانة بترا (الثالثة) مرتبة
النفوس الجاهلة التى ارتسمت فيها نقائض المطالب الحقة المطابقة لما في نفس
الامر لكن لا تكون راسخة فيها بل تزول عنها بسبب من الاسباب فيحصل
لهؤلاء أيضاً ماحصل لمن قبلهم من السعادة الاخروية اللائقة بهم (الرابعة)
مرتبة الاشقياء وهم الذين انتقشت نفوسهم بالصور المضادة للامور الواقعة
فى نفس الامر وهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وهؤلاء
بالنسبة للاقسام المتقدمة قليل جدا كما أشار لذلك فى لاشارات بقوله لا يقض
عندك ان السعادة فى الآخرة نوع واحد ولا انها لا تنال اصلا الا باستكمال
العلم وان كان ذلك يجعل نوعها اشرف ولا ان مقارفة الخطايا باتة اي قاطعة
لعصمة النجاة انما يهلك الهلاك السرمدى ضرب من الجهل وانما يعرض
للعذاب ضرب من الرذيلة وذلك فى أقل اشخاص الناس ولا تصغ الى من
يجعل النجاة وقفا على عدد مصروفة عن أهل الجهل والخطا الى الابد
واستوسع رحمة الله * قال الطوسى دل بهذا على ان ماعدا الجهل والرذيلة اما
يقتضيان شقاوة منقطعة او لا يقتضيان شقاوة اصلا * وقال الامام الرازى لما
كان ربما يخطر بالبال ان سبب السعادة الاخروية ليس الا العلوم فالنفوس الخالية
عنها لا يكون لها شيء من السعادة فيكون الغالب على النفوس أن تكون معطلة
لا يكون بين وجودها وعدمها فرق أشار الى دفعه بذلك فالذى يقتضى
العذاب المخلد هو العقائد الردية وأما الاخلاق الردية فتوجب العذاب مدة
ثم يؤل الامر الى خلاص النفس الى سعة الرحمة فاذا قوبل ماوصل اليه من
العذاب المنقطع الحاصل أولا بالسعادة الابدية الحاصلة ثانيا كانت الغلبة

للسعادة على انه ليس كل خلق ردئ يوجب العذاب بل موجبه هو الخُلُق المتمكن فى النفس تمكنا غالبا ولا شك ان ذا ليس بغالب بل نادر * فمن اعتقد ان الناجى ليس الاّ من عرف الحق بالبراهين وكان نقيا عن الاوزار كما يقوله المعتزلة يلزمه أن يكون أهل النجاة فى الآخرة فى غايه القلة ولا كذلك بل النفوس الخالية عن العقائد الباطلة من اهل السعادة والنفوس الآثمة ستخلص الى السعادة وحينئذ فالغالب اهل النجاة واما الاشقياء فمحصورون في اقل الاشخاص * واذا كان كذلك فقد سقط سؤال الناظم لأَن الغرض المطلوب للنفوس البشرية حصل للاغلب ووصلوا الى الكمال وان بقيت بفئة منهم بقية تزول فى عذاب القبر واما نفوس الاشقياء الاشرار فهى لقلتها ساقطة عن الاعتبار فكأنها بالقياس الى الفائزين الابرار بمنزلة شر قليل واقع بين خير كثير ولا يليق بالصانع الحكيم ترك خير كثير لشر قليل * الا ترى الى قول السهروردى خير كثير يلزمه شر قليل لايجوز على رحمة المبدع اهماله لان في ترك خير كثير يلزمه شر قليل شرا كثيرا كالنار فيها منافع كثيرة وان كان يلزمها احيانا حرق ثوب فقير (لايقال) فهلا خلق هذا القسم بريئا من الشر (لانا نقول) هذا سؤال فاسد كانه قيل لِمَ لَمْ يجعل الماء غير الماء والنار غير النار غفلة عن ان ارادة الجاعل مرجحة حسبما تقتضيه الحكمة فاهمال المصالح الكلية والخيرات الكلية لشر جزئي لا يجوز ألم تر ان الحكمة توجب قطع عضو لسلامة البدن والمبدع الاول لايفعل الاشياء لغرض والعالى لا يعمل للسافل فالحق تعالى لا غرض له فى الصنع والاشياء ما لم تلزم لا تكون * وانما يطيل حديث الخير والشر من يظن ان حركات الافلاك وسلاسل الاسباب كانت لمصلحة الانسان اولترقية زيد وعمرو بل هذه لوازم لايلتفت اليها * وقد

بينا ان الوجود لا يصح ان يكون اتم مما هو عليه والممتنع غير مقدور * ولو كان للبارى غرض ما ثبت فضله وقد قال ولكن الله ذو فضل على العالمين * وليس البارى مشتغل الذات بأن يعمى أرملة أو يهمل رضيعا باماتة مرضعته أو يهتك ستر أرباب الستر بل هى لوازم مقدرة لحركات كلية كما يشهد به وكل شئ عنده بمقدار اه

﴿ وبما مر ﴾ كله عرف ان الاشقياء فى غاية الندرة بالنسبة للسعداء ورحمته وسعت كل شئ * على انه قد جاء فى بعض الآثار مايدل على خلاص الكل آخراً وأن النار تفنى ويزول عذابها دون الجنة * قال ابن تيمية نقل ذلك عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبى سعيد وغيرهم * وأخرج عبد بن حميد عن عمر باسنادين رجالهما ثقات لو لبث أهل النار فى النار كعدد رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه وتداوله أئمة غير مقابلين له بالانكار قال أعنى ابن تيمية وانما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها وأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموا هم وغيرهم انهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبا منه ولفظ أهل النار يختص بمن عدا المؤمنين كما يشير اليه عدة أحاديث * ولا يناقضه خالدين فيها وماهم منها بمخرجين بل ما أخبر به الحق هو الحق الذى لا يقع خلافه * لكن اذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم يبق نار فلم يبق عذاب * وورد فى عدة طرق عن ابن عمر وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا * وجاء نحوه عن ابن مسعود * وأخرج عبد ابن حميد عن الشعبى جهنم أسرع الدارين عماراً وأسرعهما خراباً * وأخرج ابن مردويه عن جابر رفعه فى قوله تعالى فاما الذين شقوا ففى النار الآية قال رسول الله ان شاء الله أن يخرج اناسا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة

فعل * ورد ذلك بأن الاجماع على خلافه ﴿واعترض﴾ بانه انما يظن الاجماع من لم يعرف النزاع وقد عرف قديما وحديثا والذى دل عليه القرآن ان الكفار يخلدون فى النار أبدا وانهم غير خارجين منها وانهم لا يفتر عنهم عذابها وانهم لا يموتون فيها وان عذابهم فيها مقيم وذلك كله لا نزاع فيه بين المسلمين انما النزاع في شئ آخر وهو انه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء والنصوص دالة على انهم لا يخرجون منها مادامت باقية كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها وفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس حكى ذلك كله ابن القيم وأطنب فيه ودفع قوادحه فى نحو كراسة * والذى نعتقده ما عليه هداة الامة وجمهور الائمة ان النار لا تفنى ولا يزول عذابها * ووافق ابن القيم على نحو ما زعمه جمع من الصوفية * قال العفيف التلمسانى اذا بلغ الانتقام الغاية انقلب رحمة وقام المصطفى لجنازة فقالوا انه يهودى فقال أليس الملك معها أليست نفساً * قال فى الفتوحات هذا أرجى ما يتمسك به اهل الله اذا لم يكونوا من أهل الكشف ولا التعريف الالهي في شرف النفس الناطقة وان صاحبها وان شقى بدخول النار فهو كما يشقى هنا بامراض النفس والعلل والهموم وان ذلك كله غير مؤثر فى شرفها اذ كانت من العالم الا شرف فقام لها لكونها نفسا أى لذاتها وهذا يؤذن بتساوى النفوس * وفي رسالة القشيرى عن بعض الصلحاء انه ذم من رأى نفسه خيراً من فرعون قال وهذه مسألة من أعظم المسائل تؤذن بشمول الرحمة وعمومها للكل نفس وان عمرت النفوس الدارين ولا بد من عمارة الدارين كما ورد ان الله سيعامل النفوس بما يقتضيه شرفها بسبب لا يعلمه الا أهل الله فانه من الاسرار المخصوصة بهم فكما ان الحد يجمعهم كذلك المقام يجمعهم لذاتهم

ان شاء الله * وقال تعالى فى الذين شقوا ان ربك فعال لما يريد ولم يقل عطاء غير مجذوذ كما قال فى السعداء رحمتى سبقت غضبي ووسعت كل شيء منة واستحقاقا وبالاصل كل ذلك منه منة فانه كتب على نفسه الرحمة الى هنا كلام ابن عربى * وقد قلنا لك ان اعتقادنا ما عليه الجماعة من أهل الفقه والحديث

﴿ فائدة ﴾ فى المضنون الكبير المنسوب الى حجة الاسلام ان فى التوراة ان اهل الجنة يمكثون فى النعيم خمس عشرة الف سنة ثم يصيرون ملائكة وان اهل النار كذا او أزيد ثم يصيرون شياطين وفى الانجيل ان الناس يحشرون ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون وفى القرآن ان الناس يحشرون كما خلقهم الله اول مرة الى هنا كلامه وهو لا ينافى ما تقدم لان الناس اذ خلقوا اول مرة كانوا ارواحا كما قال تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وقال فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة فاذا أعيدوا كما فطروا يكونون أرواحا والله اعلم بالصواب